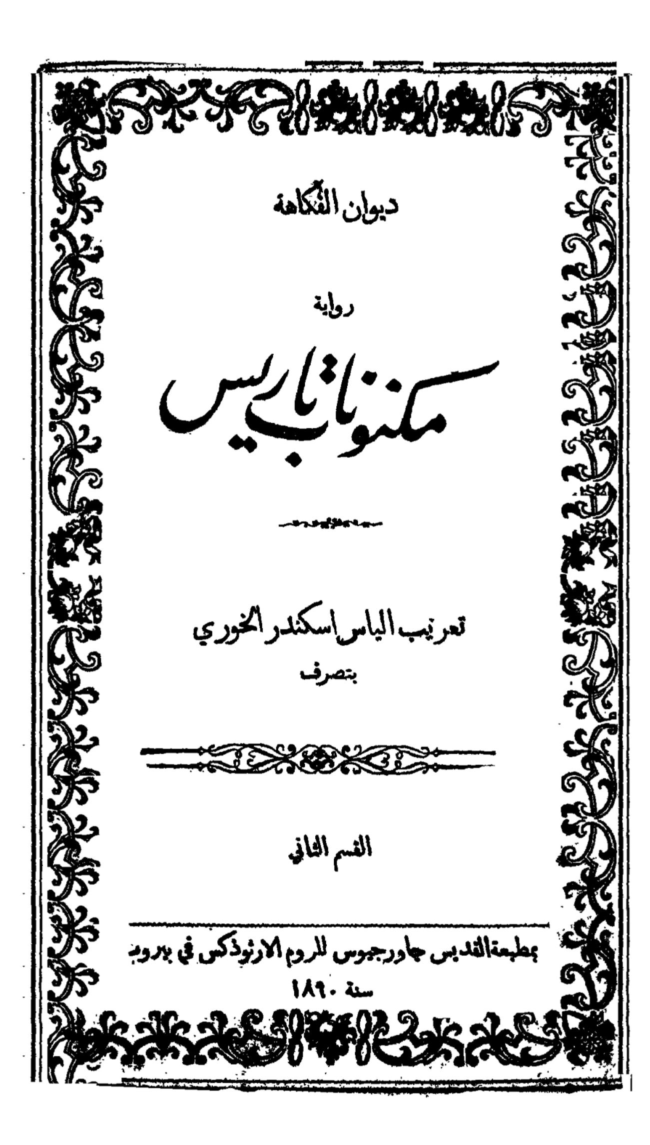


ديوان الفكاهة

رواية

مكنونات باريس

تعريب الياس اسكندر الخوري

بتصرف

القسم الثاني

بمطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس في بيروت

سنة ١٨٩٠

مكنونات باريس

القسم الثاني

الفصل الاول

الجزيرة

لما كانت ماري تجهل مداخل باريس ومخارجها اعترضت مدام سير وفيم وسط الطريق الذي اخذت فيهِ فقالت لها — لقد ضللتِ السبيل فان طريق بوكوفال هو غير الذي نحن سائرون فيهِ وليس فيهِ من العقبات ما نلقاه هنا لنعدل عنهُ قبل ان يجهدنا المسير عبثًا

اجابتها السعلاة — خلي عنكِ الاعتراض على امر لست انت منهُ بشيء ما رأيت الاعتراض الاطمعًا في الفائدة فسامحيني اذن وروِّحيني باخبار

ها على تمام المرام
باشان الموسيو رودلف
شأنها

فكانت العربة قد انتهت من جريها الى بانيبول فترجلتا عندئذٍ وخطتا معًا يخترقان الوادي الظليل بين اشجاره الباسقة واغصانه المتلاحبة فسرّحت ماري انظارها في بهجة تلك الغياض ومحاسن هاتيك الرياض لا سيما عند ما بدت لعينيها جزيرة مارسيال بحسن موقعها الطبيعي ورونقها البديعي تحدق بها الغابات من كل جانب فتحميها ومجري السين امامها فيرويها . فالتفتت حينئذٍ ماري الى رفيقتها وقالت لها

— ما احسن ما نرى من بدائع المخلوقات وعجائب الخالق . سبحان من برا

— صدقت فان هذه الجزيرة من احسن البقاع تربة وهواء واطيبها ماء وها نحن مجدون اليها

— أ اليها نسعى

— نعم

— ما الغرض من الوقوف فيها ولا ناقة لنا فيها ولا جمل

— كل ما يسرّك فيها فان الذي سعى في نجاتك وكان علّة خلاصك ينتظرك هناك .

— اتصدقين القول

— نعم

— أرودلف نصيري هناك

— ومعهُ مدام جورج

— بالله حققي هذه الاماني اكدي لي ما يسرّي عني الهموم

— قلت لكِ الحق ولا امين فلا تدفعيني لليمين

فلندعهم الآن يزجون الوخد بالزميل ولنتقدم امامهم فنستطلع طلع رجال الجزيرة ونقف على ما يدبرون فان نقولا وافلين كانا قد اعدّا القوارب والقيا المرساة قرب الفرضة ينتظران الفريسة ويعملان الفكرة في تدبير الحيلة للبطش فيها ولما استبطآ ها قالت افلين لاخيها أرى ان لا نضيع الزمان في الانتظار عبثًا وقد

ابطأ الرسول في القدوم عن الموعد الذي ضرب لهُ فلنسرع اذن الى نزل القلب الدامي حيث ينتظرنا البومة و برابليون للايقاع بالجوهرية

— احسنتِ ولكن لا باس اذا انتظرنا قليلاً حتى اذا تاخرا طويلاً عن المجيء سرنا مع والدتنا الى حيث تسيرين

— أما دريت يا نقولا بالخبر الذي اذاعتهُ والدتي عن مارسيال

— ما هو

— انها ارجفت بانهُ قد اعتراهُ مرض عضال يعز عليهِ الشفاء منهُ

— كيف تمّ لها ذالك

— بينا كانت ذاهبة اليوم الى اسنار التقت بفيروت الصياد فاخبرتهُ بان صديقهُ مارسيال على خطر الموت

— لقد احسنت في اختيار هذه الحيلة

— ومما يمهد لنا سبيل الفوز ان ليس لديهِ في الحجرة ما يسعدهُ على الخروج منها

— من اين لهُ الخروج والباب مصفح بالحديد

— لكن قل لي ماذا يكون جوابنا على سؤال لالوف عنهُ عند خروجها من السجن

— ليس الا انهُ قد فاضت روحه وكفى

و بينا هما يفكران سمعا والدتهما تدعو نقولا فخفّ اليها بعد ان اوصى اختهُ مواصلة المراقبة في غيبتهِ . وعند ما بلغ اليها رأى والدتهُ في قلق وانزعاج من جرّاء اعمال فرنسوا واماندين فرأى بالاتفاق معها ان يعتقلها في احد الدماميس اسفل البيت وبذلك ينجو من شرّهما وعقيب ان قضى مهمتهُ سال امهُ عن مارسيال فاجابتهُ

— قد مضى النهار كلهُ ولم اسمع لهُ ركزًا وربما يكون قد بلغتك الحيلة التي دبرتها ملافاةً لسوء العاقبة من امركما معهُ

– نعم وقد صدقتها فشكرتك عليها

– هل جاءت البومة اثناء تغيبي في اسنار

– نعم .

لِمَ لم تبقَ هنا لنذهب معًا الى نزل القلب الدامي · اخاف ان تكون قد خدعتنا بوعدها وانا قد صرت في ريب من امرها

– لا تخافي يا اماه لابد ان تأتي آجلاً او عاجلاً هي انها عدلت فليس عندها من امرنا علم بشيء على انها باحت لنا باسرارها واطلعتنا على الطريقة التي اتخذتها مع الاستاذ وهوبي بن براروج وبرابليون توصلاً الى خطف الابنة التي وكل اليها الرجل الطويل القامة اعدامها فسرّي يا اماه وافرحي بالكنز الذي تحرزينهُ قريبًا. فانهم قد وعدونا بمبلغ ثلاثين الف فرنك بدل العمل

وفيما هما في شاغل من هذا الحديث سمع افلين تنادي نقولا باعلى صوتها اسرع للحال فها ان الرسول قد بلغ الفرضة

فالتفت حينئذٍ نقولا الى والدتهِ واشار اليها ان تنزل معهُ ليوصلها الى البر وجدَّ يعدو ناحية الصوت · فلما رأى السعلاة والى جانبها الفتاة صاح بامهِ ان اسرعي يا ماه بالنزول قبل فوات الوقت . فركبت القارب معها على عزم المسير الى نزل القلب الدامي

اما مدام سيروفيم فعندما اقتربت من نقولا همست في اذنهِ قائلة لهُ. اذا سألتك عن مدام جورج فاجبني انها على احسن ما يرام · ثم عادت الى جانب ماري فسالت نقولا باعلى صوتها

– ما شأن مدام جورج

– بكل عافية وهناء .

اما ماري فلما رأت الارملة وولديها اضطربت اعضاؤها واكمدَّ لونها واشتد ضربان قلبها حتى كادت تهي من الضعف والخوف لكن ذكر اسم مدام جورج أحيا في قلبها روح الامل فانتعشت وقالت

– هل هي بانتظارنا

– نعم تعد الثواني

– فبالله اذن لنمعن في السير

فصاحت اذ ذاك مدام سيروفيم بنقولا قائلة لهُ ادنُ من الشاطىء بقاربك ولما دنا همست باذنهِ (تذكر ما وعدت بهِ)

فأومئ اليها براسهِ علامة الرضى والايجاب ولما تبوأ واجميعهم منازلهم في القارب اخذ نقولا يجذف بكل عزيمة ليلحق بشقيقتهِ وفيما هم في اثناء المسير اشار نقولا الى افلين اشارة استغلق مفادها على مدام سيروفيم وماري اللتين كانتا جالستين في مقدم القارب بعيدتين من اصحابهِ

الفصل الثاني

طابخ السم آكلهُ

قبل ان ناتي على تفصيل ما جرى في القارب من الحوادث المفجعة رأينا ان نذكر ما حدث في دار سجن سان لازار عقيب ان زايلتهُ ماري تصحبها مدام سيروفيم قيمة المسجل جاك فرّاند

بعد ان اوحشت ماري دار السجن لتونس ديار الغدر والظلم قسرًا وعنوة صدر العفو باخلاء سبيل بعض المسجونات وكانت لالوف في جملة من اصابهم العفو • فهذه المراة حالما بلغتها البشرى اخذت تجد في السير على طريق حبيبها مارسيال الذي كانت تتوق لمرآه فركبت العربة رغبة في العجلة الى ان

تعسر لها الوصول الى الفرضة قبل ان بلغتها مدام سيروفيم ببضع دقائق ولما لم يكن ثم قارب تنزله للتحوّل من ضفة الى اخرى استعاذت بالصبر علها تجد من يسعدها على نيل مرغوبها فخاب ظنها وخانها الجلد فنهضت مسرعة تقصد ناحية جسر اسنار وكان في جيرة الموضع الذي وقفت عنده فلما انتهت اليهِ وجدت فيروت الصياد جالسًا قبالة منزلهِ يعمل في اصلاح شباكه. فصاحت بهِ كالملهوف

-- فيروت عليَّ بقاربك دون مهل

— آه ما اسعد يومي برآك

— ما لنا وللاسهاب بالتحية عجل بالقارب

-- اسفاه اني اعجز عن اجابة رغبتكِ

— لماذا

— ركبهُ والدي للصيد وليس في الفرضة سواه

فصاحت صيحة الايس وقالت — لقد خابت آمالي وخفق مسعاي . ما العمل يا فيروت

— ما الغرض من العجلة ألا يسعكِ الانتظار الى حين فربما يكون قد مات الرجل الذي تقصدينهُ

— من تعني بمن تنعي

— مارسيال وهل مادريت بخبره

— لا لله ما حل بهِ وما نابهُ

— لم اسمع بمرض اعتراه غير انهُ قد مرَّ بي يومان ولم اشاهده فاستعلمت والدتهُ حالهُ فاجابت انهُ اصيب بعلة معضلة وقد اشفى

— ما اظن ذلك الاَّ اراجيف يرجفون بها لاغراض في النفس ولو صح ما تدعيهِ امهُ او سواها لكان وصلني الخبر بكتاب منهُ

— أنَّى يشأ الكتابة وهو على فراش الضنى

فلما سمعت لالوف خبر خليلها مارسيال خفق فوادها من الهم والغم فتركت فبروت واسرعت تعدو بسرعة البرق الخاطف ناحية الفرضة ولما كانت في شاغل من امر حبيبها لم تراقب القارب الذي نزلته مدام سيروفيم وماري فاستمرت في جريها الى ان صادفت في طريقها الكونت سان رامي والى جانبهِ صديقه الدكتور كريفون لان الكونت كان نزيلهُ فلم تبالي ولم تقف الا قبالة الجزيرة حيث احدقت بالبناء تتأوه وتتحسر ولما اشتدت عليها وطأة الغم وقد وهى جلدها من طول الانتظار على مثل النار رمت بنفسها في النهر تخوضهُ حبًا بالوصول الى دار الحبيب وفيما هي تطفو سابحة على الماء سمعتْ صراخًا من الجهة المحاذية فارتجفت وارتاعت فوقفت برهة لتتبين الصوت ثم استأنفت السباحة بعزم لا يمازجه ملل وفتور

اما الكونت سان رامي والدكتور كريفون لما رأيا الابنة تعدو عدوًا سريعًا خال لهما انَّ في الامر باعثًا مهماً فجدا في اثرها الى ان بلغا الشاطىء ساعة الغريق

اما لالوف ما زالت تجد وتغور الى ان ادركت الشاطىء وفيما هي صاعدة لاحت لها جثة عن بعد تتلاعب بها الامواج فاسرعت اليها فرفعتها بين يديها الى البر وكانت جثة المسكينة ماري

فلما رأى الكونت حميتها وغيرتها هتف باعلى صوتهِ تشجعي يا ابنتي فها نحن من وراءك انصار وسنوافيك من جهة الجسر بيد ان تلاطم العباب حال دون اجتماعها بها

اما نقولا وافالين بعد ان انجزا المهمة وتأكدا نجاح مسعاهما تركا النهر ليتفرغا الى اعمالهما في غير موضع

وبعد قليل من الزمان قذفت الامواه جثة اخرى على الشاطىء فكانت جثة قيمة المسجل جاك فراند وشريكة اعماله

لكن لالوف اخذت تقلب النظر في جثة الفتاة وتتفحصها الى ان عرفتها

فصاحت

اواه من ارى أماري تلك الابنة الوديعة التي تعرفت بها في السجن. من جاء بها الى هذا المكان ومن اصارها الى هذه الحال

ولما كان الغرق قد اثر فيها فضعضع جسمها احتملتها لالوف مسرورة واخذت في طريق منزل الحبيب حيث عمدت الى نجاته كما يسر الله لها نجاة ماري

وكان فراند اثناء هذه الحوادث مختبئًا وراء اكمة يرى منها ولا يُرى ولما تأكد غرق قيمته والفتاة طاب نفسًا وفرح جدًّا لانه نجا باعدام ماري من شر تلك الكهلة وتهديداتها وباعدام مدام سبروفيم اضاع مفتاح سرّه فزايل اذ ذاك موضعه قافلاً الى باريس يخطر فيها على هواه ومناه

الفصل الثالث

منزل الحبيب

لما بلغت لالوف الجزيرة وماري على يديها طافت بها فلم تجد احدًا فالقت الفتاة عند الباب وتوجهت جهة غرفة حبيبها وهناك زاد عجبها ودهشتها اذ رأتها مصفحة بالحديد فحاولت الدخول الى الدار فنقبت وبحثت فلم يتيسر لها الدخول فجلست من العي تصيح وتنادي

— مارسيال . مارسيال اين انت

ولما لم يسعها الوقوف طويلاً موقف الريب عمدت الى الباب فرفسته برجلها فسمعت من داخل المكان صوتًا راعها واهالها فاصغت اليه فتبين لها

انهُ صوت فتاة فزادت عجبًا وحيرة واذ كان السلم لم تزل مسندة الى الحائط صعدتها لتنظر من الكوة الى داخل الدار فلحسن الطالع وجدت مفتاح الدار فيها فاخذتهُ بلهفة وانحدرت مسرعة الى الارض وهي تصيح انقذتهُ انقذتهُ

ففتحت الباب ولم تكد تخطو الخطوة الاولى حتى سمعت صوت الابنة من ناحية المطبخ فعمدت اليها وكان الباب مقفلاً فحطمتهُ ودخلت فتلقاها اماندين وفرنسوا فازداد سرورها بوجودهما فعهدت اليهما معالجة ماري واوعزت اليهما ان يضرما النار بقربها لتثيب اليها روحها ثم اطردت حديثها فسالتهما

— اين حلَّ مارسيال

— واسفاهُ اعتقلوه في غرفته

— متى كان ذلك

— منذ يومين

— هل أصابوه بشرّ

— كلاَّ

فارتاح اذ ذاك بال لالوف وتوجهت جهة الدرج فطارت عليهِ وبيدها الفأس فعند وصولها امامهُ ابتدرتهُ بضربة قوية فلم تؤثر فيهِ فعاجلتهُ باخرى فتكسر ودخلت فرأت مارسيال ملقى على الارض مخضبًا بالدم فانهضتهُ بيدها واجلستهُ على المتكإ واخذت تروحه بحديثها.

اما مارسيال فكان قد آيس من الحياة فتخدرت اعضاؤه وغاب رشده من الوهن الذي اعتراه . لكنهُ لما سمع حديث لالوف وآنس من شفقتها ولطفها روحًا جديدة فتح عينيهِ متنهدًا وقال

— ألالوف من أرى امامي

— نعم انا هي وقد ارسلني الله لانقذك من شر الظالمين فقل لي ما شأنك الآن وما الألم الذي تشعر بهِ

— آه لقد زال الألم وعاود فؤادي الانس والسرور

— أتحتاج الماء

— لا بل الهواء

ففتحت لاملوف النوافذ وسالتهُ

— كيف انت الآن

— اشكر الله على رحمتهِ ومزيد نعمتهِ التي اصابتني عن يدكِ

— ما بال كفك دامية

— هي اثر ضربة ابتدرتني بها افلين

— شلّت يمينها وما السبب في ما ارجفوه

— وما ارجفوا عني

— ان قد اصبت بمرض عضال

— لقد فهمت الآن نياتهم وما يعملون انهم شيعوا خبر مرضي مقدّمة لهلاكي لكن مالي اراكِ مبتلة

— اني كنت بلغت النهر فلم اجد قارباً اصل به اليك فخضت العباب سباحةً

— وقيت الردى يا الوف

— وقد انقذت في طريقي فتاة من شرّ الغرق

— من هي

— احدى رفيقاتي في السجن

متى كان هذا

— عند قدومي اليك وانا وسط النهر

— مَن جاء بها الى النهر

— لم اعلم

— وما كان سبب غرقها

اني رأيت جثة تتلاعب بها الامواه فدنوت منها و بعد ان تحققتها عرفتها

انها صديقتي وكان ايضًا في النهر جثة امراة طاعنة في السن

– هل ابقى الغرق على حياة الكهلة

– كلا فانها قضت نحبها

– وما شان الابنة

– انهُ يرجى شفاؤُها

– اين غادرتها

– عند اخويك

– آه دعيني انزل اليها

– ما ابدع تلك الخلقة

الا تظنين في غرقها سرًا مكنونًا

– ذلك لا ريب فيهِ

– هيا بنا اليها

فقام مستندًا على عاتق لالوف وانحدرا الى الدار وقبل ان ندخل بهما اليها نذكر ما جرى للماري بالقرب من فرنسوا واماندين



الفصل الرابع

الدكتور كريفون

عقيب ان اضرم فرنسوا واماندين النار ليجددا الحرارة في جسم ماري دخل عليهم الكونت سان رامي والدكتور كريفون

وكان هذا الطبيب طويل القامة نحيل البنية واضح الجبين جامعًا بين الذكاء واللطف والأدب والظرف

فتقدم الطبيب من الابنة ليتفحصها وينظر في معالجتها فسالهُ الكونت سان رامي .

— ما رأيك

— لا خطر في الحال بيد انهُ تستلزم السهر والعناية

— وفي خلال هذا الفحص دخل مارسيال مع لالوف فارتعد الطبيب من مرآه اصفر مهزولاً فسال عن شانهِ

— فاجابتهُ لالوف . ان الرجل هو زوجي

فالتفت حينئذٍ الى الطبيب وقال

— حقًا ان هذه الفتاة لنادرة زمانها وهي التي انقذت هذه الابنة من اليم

ودعم كلامهُ مارسيال بقولهِ — وقد انقذت حياتي ايضًا

فاستانف الكونت القول حائرًا وحياتك

— نعم فانظر يداي

فانتبه حينئذٍ الطبيب لكلامهِ ونقدم من مارسيال فكشف عن جسمهِ وفحص جراحه ثم عاد الى النظر في حال ماري دون ان يفوه بكلمة

فتقدمت اليهِ لالوف وسالتهُ مرتابة من احجامهِ عن صديقها واجمًا

— هل ان حياتهُ في خطر

— كلا وعن قريب يسعهُ التفرغ لعملهِ انما يستلزم العناية وبذل الهمة في مداراتهِ كما وانهُ يجب مداركة حال الابنة ومن الراي بل من اللازم ان تبقى في مكانها نظرًا لحسن المناخ وجودة الهوآء

— فهتفت لالوف قلتَ ان تبقى هنا

— نعم وهل في البقاء من مانع يمنع

— ان اكبر الموانع يحول دون بقائها لانهُ قد . . .

فقاطعها مارسيال الكلام مشيرًا اليها بالصمت والاضراب عن ذكر ما جرى من الحوادث جهتهم

فلاحت الاشارة للطبيب فداخلهُ اذ ذاك الريب فنظرَ الى رفيقهِ وهمس في اذنهِ قائلاً

— ان لا أمن في هذا المقام

فصدقهُ الكونت وسأل مارسيال

— ما سبب الجراح التي في يدك

— انها اثر موقعة حدثت بيني وبين اخصامي

— لِمَ انكرت بقاء الابنة في مقامك

— ليس الا لسبب سفري القريب

— الى اين ازمعت الرحيل

— الى باريس

فقال حينئذٍ الكونت للطبيب — ارى ان انزل هذه الابنة في داري فتمرضها عندي والمسافة بيننا قريبة

— احسنت وانا اعدك ببذل ميسوري دون شفائها

— وانا اكون الك من الشاكرين فاني لااقدر ان ابين السبب الذي حملني على ان آوي لهذه الابنة المسكينة

فدنت عندئذٍ لالوف من الكونت وقالت له . اعلم يا سيدي ان الله قد خصَّ هذه الفتاة بمزايا تجذب القلوب اليها فضلاً عن ذلك ان لها صوتاً اطرب من رنات العود واشجى من نغمات داود

— هل الك سابق عهدٍ معها

— كلاً

— كيف كان سقوطها في الماء

— اني لا استطيع ان آتيك الحقيقة من امرها

— ممن هي

— لا اعلم بحسبها ونسبها

وبعد قليل من الزمان استيقظت ماري من سباتها فحملت تشيعها لالوف الى دار الطبيب حيث ينزل الكونت (سان رامي)

اما مارسيال واخوه فرنسوا واماندين فقد زايلوا الجزيرة قاصدين باريس

وقبل ان نطلع القارىء على ما كان من امر عائلة مارسيال في نزل القلب الدامي حيث تالبوا للفتك بمدام متى الجوهرية النازلة في شارع سان دنيس نحوّل فكرهُ الى النظر في ما جدَّ للبومة مع توماس سيتون الذي دعاها اليهِ لامر بدا له

الفصل الخامس

الغدر

كان توماس يخطر وقتئذٍ في جادة لافتوار منتظرًا قدوم رفيق له فعند الساعة الثالثة تبين له عن بعد سارٍ يعدو اليهِ فتوسم فيهِ بارقة الامل الى ان دنا منهُ فعرفهُ انهُ هو الشخص الذي كان ينتظره وكانت البومة رفيقة الاستاذ حاملة في يدها مقطفًا فيهِ مدية لم يرها توماس فحالما وقفت امامهُ ابتدرتهُ بهذا الكلام

— لقد تجاوزت الاجل المضروب

فأضرب سينون عن الجواب واومى اليها ان تتبعهُ فدخلا حديقة فسيحة فتخطياها الى ان بلغا اخرها فعندئيذ تركها توماس ومضى لشانهِ

فما برحت البومة في مكانها تناجي نفسها قائلة قد تم قصدي ومرادي وعن قريب احرز مالاً جزيلاً اقوى بهِ على كبح جماح فراند الظالم فاكتب بهِ الى ولية الابنة في مزرعة بوكوفال واعمل على هلاكه في كل سبيل

وفي ذاك الحين طلعت عليها سارة ماكركوار من وراء الادغال تتثنى في مشيتها كالغزال وتحاكي بقامتها العسال

ولابدَّ ان يسال القارىء عن السبب الذي دعا سارة الى الاجتماع بمن كانت دونها منزلة وقدرًا فنقول · لما كانت سارة عاجزة عن استمالة رودلف اليها اخذت تسعى في كل سبيل توصلاً اليهِ الى ان بدا لها بتقرير ما ياتي

— ان اخبره بان ابنتنا التي ظننّاها مائتة لم تزل حية فاتيه بواحدة مثلها وعملاً بهذا الراي قصدت فرّاند المسجل كما علمنا قبلاً وكاشفته في هذا الامر فابى الاذعان لها فبعثت بطلب البومة لتكل اليها انجاز هذه المهمة وعند مادنت منها البومة ابتدرتها بهذا الخطاب

— أأنتِ حريصة على السر

— لا احرص مني

— اتذعنين لكلما اشير به اليك

— ولو كان لهلاكي شرط ان تجزلي العطاء

— لكِ مني ما شئت من المال دون نجاح العمل

— هل ما تشيرين اليه بمسالة الابنة التي اختطفناها من مزرعة بوكوفال

— كلاّ

— اذن ما مرادك وبما تعنين

— هل لك معرفة باحد الفقراء

— أعرف منهم الوفا

— اسألك ابنة بهية الحسن لم تتجاوز السابعة عشرة

فاحدقت البومة في سارة وقالت — اظن ان غنية هي السبب

— ما هذه الفتاة ومن تكون

— هي التي اختطفناها من المزرعة

— أهي بهيجة

— نعم فاسمحي لي ان ابيّن لكِ تفصيل امرها

— اوجزي المقال

— ان تورنمين سلمني الابنة وعهد اليّ بعنايتها والاهتمام في شانها وهو الآن في روشفور حيث يكفر عن جريمته

— ما كان يقصد هذا الرجل

— لم يفعل الّا اجابة لرغائب المسجل جاك فرّاند

— فمتى كان هذا العهد

— منذ عشر سنوات

فصاحت سارة مدهوشة رافعة الحاظها الى العلاء . ثم قالت — منذ عشر سنوات عهد اليك فراند بامر هذه الابنة

— نعم وما الداعي لانذهالك ودهشتك هل رأيت في الامر عجبًا او اهتديت بحديثي الى كشف سرّ كان قد اغلق عليك من قبل فان تورغين اتاني بها ودفع لي مبلغًا جزيلاً دون صيانتها والذود عنها

— أهي جميلة

— انها جملة الجمال

فجثت سارة حينئذٍ على الارض وقالت ربـــاه وفق اعمالي بتحقيق آمالي بتقديرك ايها العزيز القدير . ثم اشارت الى البومة ان تتبعها ومشت امامها تجتاز الحديقة الى ان بلغت قصرًا في ظاهره غرفة زجاجية ففتحت سارة الباب ودخلت وفي اثرها البومة فدعتها الى الجلوس ثم اطنت الجرس فدخلت عليها الجارية فاوعزت اليها ان تنكر وجودها على الزائرين

ولما خلت بالبومة اقفلت الباب وتقدمت ففتحت سحابتها واخرجت منها انوطة عليها رسم فاطلعت البومة عليهِ وسالتها

— اتعرفين صاحبة هذا الاسم

— ان هذا هو رسم ماري لا ريب فيهِ وهي الابنة التي اودعنيها تورغين

— اتصدقين القول

— دون اشتباه

وخطر للبومة عندما رأت ثروة سارة ان تفتك بها الحال لكنها ترددت برهة تسمع نتيجة حديثها فقالت لها سارة

– ان اتيتني بالتفصيل البين عن حال الابنة اعرضت لك بالمال

– قلت لك يا مولاتي اني اليك بما تريدين

– هل تعرفين الكتابة

– كلاّ

– اذن أملي عليّ ما علق بحافظتك

ولما اشتغلت سارة بالكتابة لاح للبومة وجه الغدر فاخذت المدية التي كانت في مقطفها بيدها اليسرى وقبل ان تحرّك يدها سألتها سارة

– متى كان عهد الوديعة

– في شهر شباط عام ١٨٢٧

– من كان الوسيط

– تورنيين

– اين يقيم الان هذا الرجل

– في سجن روشفور

– من الذي دفعهُ الى اخفائها

– على ما اتصل اليّ انها مدام سيروفيم قيمة المحجل جاك فرّاند

وفيما كانت سارة تراجع ما كتبت ابتدرتها البومة بطعنةٍ شديدة القتها صرعى دون حراك وقامت الى السحابة فحملت ما كان فيها من خفيف الحمل وغالي الثمن وفرّت تقطع الحديقة باسرع من الظل الى ان انتهت الى الجادة فاستاجرت عربة تريد السير الى جانة براروج حيث تجتمع بعايلة مارسيال وبرابيلون للائتمار على قتل مدام متى الجوهرية

الفصل السادس

الاكتشاف

تقدَّم قبلاً للقارىء تفصيل نزل القلب الدامي برسم موقعهِ وسكانهِ وما كان من امر الطبيب برادماني بعد مرافقته خالة المركيزة دي هرفيل فلنقم الآن فيه لنسمع ما يدور عليهِ حديث صاحب النزل براروج مع ثقاف الحكومة « نارسيس بورل » المشهور بالهمة والاقدام في باب الحكومة لا سيما في حسن دهائهِ وبلائهِ في اقتصاص اثر اللصوص . فهذا الرجل دخل الحانة وقد ستر برداثهِ البسيط قذارتهُ السداسية فخاطب براروج بهذا الكلام .

— جئتك يا صاح بحاجة كبرى

— ما هي

— ان الحكومة علمت باسرارك وادركت شر ٠٠٠

— بالله يا سيدي بيِّن المقال

— اتصل الى الحكومة ان نزلك غدا كهف الاشرار وعريناً للصوص والاشقياء فاياك ان تخفي عنها امرهم واذكر لها ما كان من اعمالهم وعليك مذ الآن ان تفيدها عنهم لتتمكن من القاء القبض عليهم

— ما خالفت لك يا سيدي امرًا ولا عصيت لك فكرًا وان شئت حققت لك للحال القول بالعمل

— اذا اخلصت الخدمة وصدقت في اعمالك لدن الحكومة كافأتك

جزيل المكافأة

— لا اقتضي يا سيدي الجزاء ممن له الفضل في بقائي وقد انقذتني بلطفك من السجن حين قضي عليّ ان اذهب الى طولون مع الشقي امبروس (لص باريس)

— تباً له من غادر ماكر فانه رماني بالنار مراراً ولكن الله درأ عني وقد علمت بما تكلفت من الجهد والعناء في اقتصاص اثره حتى ادركته

— واملي ان تفوز اليوم برغائبك كلها فتلقي القبض على من تظن به سوءا

— وعدتك بالجزاء ان تقرن القول بالفعل فاياك الخداع والمخاتلة

— معاذ الله ان امكر بسيدي

— هل تنجز اليوم وعدك

— بل بالحال يا سيدي ارفع اليك برابليون فالبومة فارملة مارسيال وولديها نقولا وافلين

— كيف يتيسر لك الاجتماع بهم

— انهم عزموا على الاجتماع عندي

— أأنت على ثبتٍ من عزمهم

— ان البومة أتت اليّ اليوم فاخبرتني بما عوّلوا عليه وقد ضربوا موعداً في النزل لمدام منى الجوهرية وطلبوا اليّ ان اخلي لهم المقام فابلغ ولدي تورتيلار الجوهرية الخبر وستقدم معها عائلة مارسيال وبرابليون للائتمار سوية

— عجباه لقد مرّ بي زمان ولم اسمع فيه للاستاذ من خبر

فعرت براروج حينئذٍ الدهشة فحاول التجاهل في معرفة الاستاذ فسأله متعجباً

— من يكون الاستاذ

— هذا هو الرجل الذي فرّ من سجن روشفور ولصه القديم انسالم دي برستال

ــ لا معرفة لي بهِ (على ان الاستاذ كان معتنلاً عن امر البومة في احد دماميس النزل)

ــ اعجب من جهلك هذا الرجل المشهور بالسوء في باريس

ــ ما قلت الاّ الصدق

ــ اني لا انكر عليك الحقيقة ولكن قل لي أَلا تعرف أمبروت النازلة في شارع التامبل

ــ ما شانها

ــ انها دجالة

ــ لم يسعدني الحظ يا سيدي على معرفة كل الاشقياء وما انطق الاّ بما اعلم

ــ هذا حسبي

ــ ان المهم من امرنا للحال الوصول الى ذريعة القبض على من تريد

ــ لااسهل من ذلك فاني ابث رجالي في ظاهر المنزل يحدقون بمخارجه ليمنعوا الفرار

ــ من الراي ان تتخذ التدابير اللازمة للحال لان ساعة مجيئهم قد آذنت

ــ هاانا ذاهب للاحتياط

وقبل ان ينفصل الشرطي عن الحانة اشار تورتيلار (هو بي) اشارة تفيد استعداد صاحب الحانة لقبول المنتظر قدومهم فشعر براروج بذلك فنظر الى بعيد فرأى عربة تسرع في السير الى ان وقفت عند باب النزل وكانت تقل البومة فعندما ترجلت استوقف براروج الثقاف ليؤكد لهُ صدق روايته

فشكره نارسيس واخذ يهيئ للحال الاسباب التي تمكنهُ من القاء القبض على الاشقياء دون ان يشعروا بهِ

الفصل السابع

اعتقال الاشقياء

فمشت البومة امام النزل مرحًا تهتز فرحًا مما لقيت من الغنائم في قتلها سارة ماكركوار وعزمها على الفتك بالجوهرية وكان المقطف لا يزال في يدها فتقدمت الى باب النزل فلقيها تورتيلار فحياها فابتدرته بهذا السؤال

— أأبوك هنا

— نعم هل لكِ حاجة عندهُ

— كلاَّ .

— هل قدم اهل مارسيال

— لم ياتِ بعد احد منهم

— اذهب عجلاً الى ابيك واخبرهُ بقدومي ومرادي مشافهة زوجي في الديماس وعد الى هنا حيث اكون بانتظارك

— وما الغرض من هذه الرسالة وهذا الانتظار لمَ لا تذهبين بنفسك فتعرضي الامر لوالدي ومن ثم تقصدين الديماس منفردة

— اني اريد ان اصحبك معي

— اني ابى الدخول الى ذاك المكان المظلم

— لا تخف تعال واحمل بيدك مصباحًا

فذهب تورتيلار مغادرًا البومة في شاغل من تنظيم جواهرها التي سلبتها

ولم نقصد في دخولها الدبماس زيارة الاستاذ واستعلام حالهِ بل لتخفي ما معها في مكان حريز

ولم يكن الآ برهة حتى عاد هوبي وبيده المصباح فسار في رفقة الكهلة الى ان بلغ اخر الدهليز فزجرتهُ البومة قائلة لهُ

— ما بالك تتردَّد في المسير

— اني اخاف امرًا

— ما هو

— ان الظلام حالك الجلباب

— فما العمل

— خذي المصباح واذهبي

— لا استطيع فتح الباب بيدي فهلمَّ معي اكافئك

— رضيت بذلك ان ابنتِ لي عن الداعي لهذه الزيارة

— لا يهمك الاطلاع على اسراري

فاذعن تورتيلار لكلامها وسار امامها بالمصباح وكان ضوءهُ ضعيفًا يزيد الساري في تلك الظلمة خوفًا فتقدما كلاهما من الباب ففتحاه وانتشرت اذ ذاك منهُ ريحٌ كريهة وسمع من داخلهِ زئير اشبه بزئير الوحوش الكواسر فوضع تورتيلار المصباح على الدرج وقام قريبًا ينتظر خروج البومة من الدبماس فهذه السعلاة بعد ان اخفت جواهرها في زاوية من زوايا المحل تحت نحو الاستاذ فقالت لهُ

— حياك الله يا صديقي فما شانك

— لله ارحميني فقد اضناني الجوع

— اني صديقتك اتيت لزيارتك

— اتيتِ اهلاً ولكن اما من كسرةٍ اجبر بها قلبي

— ابحث عن حتفك بظلفك

وفي هذا الاثناء سمع صوت سلاسل مسجون يرسف في الجال فصاح بهِ تورتيلار عبثًا تحاول ياصاح الفكاك من قيدك فان حلقاتها قوية صنع «مكو» الشهير •

وايدت البومة كلام تورتيلار بقولها للاستاذ خلِّ عنك محاولة التملص من اسرك فليس للانسان الاّ ما سعى فهذه غاية سعيك وعناك بل جلّ رغبتك ومناك

فما زال المسجون يرسف محاولاً التقدم الى الامام فنظرت عندئذٍ البومة الى تورتيلار وقالت له – اني اراهُ يتقدم الينا فما يبغي في مشيهِ

– لا طائل له من التقدم فانهُ اعمى

– صدقت يا اخي فتقدم يا تورتيلار بالمصباح لاصعد الدرج

وقبل ان تصعدهُ التفتت الى السجين وقالت له

– الذنب ذنبك لانك تجردت للدفاع عن بيكروا (ماري) ونحن عائدون من مزرعة بوكوفال فاعترضها تورتيلار بقوله – مالك والاسهاب في الخطاب فاني اخاف ان يبادهك بشرّ ودفعها هو بي بيدهِ دفعة شديدة القتها امام الاستاذ وصاح بهِ دونك خصمك فافعل بهِ ما نشاء • فقبض الاستاذ على خناقها الى غاية الشدة فانتهز هو بي فرصة تشبث السجين بفريستهِ فدخل الديماس يريد الزاوية التي اخفت فيها البومة جواهرها فانتزعها منها وخرج مسرورًا بلقطتهِ والاستاذ يناديهِ

– مهلاً يا تورتيلار لا فيك الشكر عن احسانك اليّ

– ما قضيت الاّ ما تستلزمهُ مني فروض محبتك

– لك الشكر ما استطعت اليهِ سبيلاً فاسمع الآن صياح الماكرة واشفِ نفسك من كيدها

فاستصرخت البومة بتورتيلار قائلة له – بالله ادعُ اباكَ ولك مني مـا ملكت يدي

– انك صفر اليدين وقد عطلتها من الحلى التي سلبت

– بربك ارحمني . . .

فاعترضها الاستاذ بقولهِ . دعي الصراخ فانهُ لا يزيدني الَّا قسوة وجفاء فاعدلي عنهُ واسمعيني اخبرك قبل ان افتك بك بما جرى لي في حياتي

اعلمي يا ماكرة انني عنيت ان عشت بالائتمار معك فانتشر شرّي وغدري ابت الى الحق ونكبت عن الطريق الذي سلكت في الماضي واول دليل قدمت بين يديك ذودي عن حوض تلك المسكينة ماري التي كنتِ عزمت على تشويهِ وجهها . واذ كنتِ السبب في سمل عيني من يد رودلف كان لا بدَّ لي الآن من الاخذ بثاري منك فاعاقبك بما جنت يداك

فصاح تورتيلار عند هذا الكلام وهو في قمة الدرج . أحسنت أحسنت

اما البومة فكانت اثناء ذلك تحاول جهدها الوصول الى الخنجر الذي سطت بهِ على سارة الى ان تمكنت اخيرًا من انتزاعه من موضعهِ فطعنت بهِ الاستاذ طعنةً خفيفة لشدة خوفها واضطرابها فزاد اذ ذاك الاستاذ قسوةً فضيق عليها قائلاً لها عبثًا تحاولين التملص من يدي قبل ان تفي جزاك فان اشباح القتلى الذين فتكنا بهم تتراءى لي فتقضي عليك بالعذاب وما اولاني انا ايضًا باجراء احكامها فاوثران اسمل عينيك عقابًا لك ليكون لك اسوة بي

فازدادت البومة صياحًا وعويلاً فاسكتها الاستاذ قائلاً

ودعي دنياك التي ستوحشها شرورك واستقبلي ارواح الذين قتلتهم فها اني اسمع صوت غني شارع دي رول وغريقة قنال سان مارتين وتاجر المواشي وغيرهم ينادونني يا للثار يا للثار

فعندها بطش الاستاذ بالبومة فقطعها إربًا ودار حولها يزأر كالاسد الطاوي وفيما هو على هذه الحال اقبل ارسيس الثقاف بالشرط فجأة فالقوا القبض على تورتيلار الذي كان لم يزل واقفًا في اعالي الدرج وبيده مقطف البومة ضمنهُ الجواهر ثم انقضوا كالكواسر على الديماس وقبل ان يدخلوه رأوا ساق و

اسان عند اخر الدرج والدم قد ملأ الحضيض فاخذه الثقاف بيده ودخل الدياس فوجد الاستاذ بحال مرعبة قد ستر الشعر وجهة الاسود واطول المدة كانت قد طالت اظافره حتى صارت تحاكي مخالب الوحوش الضارية فامر ارسيس الجند ان يكبلوه بالقيود ويسوقوه الى دار النزل حيث اجتمع برابيلون وعائلة مارسيال

وقبل ان يصل الجند باحة النزل أخذ كلٌّ من المجتمعين فيه من اللصوص يرتعد فرقًا من الحال التي صار اليها ويندب شقاءه الى ان بلغ ارسيس بجنده الباحة ومعهم الاستاذ وتورتيلار فلما رأى براروج ابنة مقيدًا بالسلاسل صاح مستجيرًا — ويلاه ما فعل ابني حتى كبلتموه بالسلاسل . فلم يجبه الجند وحاولوا القاء القبض على الآخرين

فعندها تقدمت مدام مارسيال الى براروج وقالت له — تبًا لك من مخادع ماكر قد سقت ابني بيدك الى سجن طولون والآن تسوقنا الى المجذرة سوق الخراف للذبح فاعلم انّا لانهاب الموت وقد اقتحمناهُ مرارًا ببأس شديد اقتحام القائد في حومة الوغى طمعًا بالانتصار ونيل اكاليل المجد والفخار

ثم تقدم الجند فساقوا الارملة واقفلين على العربة الى سان لازارو براروج وبرابليون ونقولا الى لافورس والاستاذ الى ديبواكونسجري



الفصل الثامن

عود مورفي

انهُ اثناء الحوادث التي جرت في حانة براروج وقد اطلع القارئ على تفصيلها ٠ كان قد رجع رودلف الى شارع التامبل بعد ان كان قد ارسل يستدعي سيسيلي من جرمانيا لتقوم في خدمة جاك فرّاند مقام أليس وهي تلك التي عهد الى مدام بيبلت ادخالها دار السجل

فعند دخول رودلف شارع التامبل كانت الساعة قد آذنت الحادية عشرة فصادف انسطاس واقفة عند سرير رجلها تجرعه شرابًا كان في يدها فلما رأت المرأة رودلف مقبلاً عليها ارخت كلة سرير الفرد والتفتت الى الزائر فقالت محتفلة بقدومهِ

— اهلاً بالقادم الكريم ومرحبًا بسيدي اني اسالك غض الطرف على ما تلقى من الانقلاب في نظام حجرتي فانّ وقوفي عند فراش الفرد اذهلني عن نفسي

— ما الداعي الى هذا الذهول وما الشاغل

— أوَ لم يدرِ سيدي بمصيبتنا وقد ذاع امرها وشاع

— وحقك لم اعلم بشيءٍ منها

— عاد كبرون الى هنا اثناء تغيبي لقضاء المهمة التي وكلت انجازها اليَّ في دار السجل

— لقد ذكرتني الآن بامر يهمني انجازه فما كانت النتيجة

— دعني يا مولاي اقص عليك ما جرى مفصلاً

— هاتِ ما لديك فاني سامع

— قد أُلقي القبض على امبروت

— أهي تلك العرّافة التي كانت تأوي الى المنزل في الطبقة الثانية

— نعم

— وما الذي اوجب اعتقالها

— اشتراكها في جريمة القتل والتزوير مع براروج

— وهل اصاب الرجل ما اصابها

— نعم في حانتهِ المعروفة (بنزل القلب الدامي) وهناك قضت البومة نحبها ايضاً

فتهلل روداف بشراً عندما تلقى هذا الخبر وقال في نفسه — بشراك يا ماري ستنالين مناك

ثم اطردت مدام بيبلات حديثها فقالت

— لما بلغني خبر اعتقال براروج بعثت القرد الى صاحب الملك ليخبرهُ بما كان فعاد اليّ وهو في حالٍ من الخوف والقلق لا توصف

— ما الذي بعثها في نفسهِ

— انهُ ما كاد يخطو بضع خطوات حتى رأى هذين الاسمين مرسومين امامهُ مكللين بالزهور وهما « كبرون وبيبلت » فنكص على عقبهِ فاخذت اذ ذاك الاطفهُ حتى سكن روعه فتمت اميرا الى بيت المنجل

— ما كانت نتيجة المكاشفة

— انني ذهبت بسيسبلي الى موقف العربات حيث استاجرت عربة وركبت معها قاصدين شارع سانتيه فبلغناه عند الساعة السابعة فترجلنا متوجهين الى الباب فقرعنا الجرس ودخلنا فاستقبلنا البواب فسألناه عن مدام سيروفيم .

وهنا محل الدهشة ومقام للحيرة

– ما جرى لكما

– انني ما كدت الفظ اسمها بفمي حتى تناثر الدمع من عيني البواب سيولاً فعجبنا من حاله وسألناهُ موضع العجب فقال

– اسفاه لقد قضت نحبها اثناء تجوّلها مع احدى نسيباتها في الشمال

– لا بد ان يكون لسفرها في هذه الايام من سبب قوي لكن ألم تقابلي فرّاند

– بلى وقد قدمت له الجارية فاعجبته دون شروط احب اخذها عليها

– ما هي

– ان تعتزل في القصر مدة اقامتها كلها براتب لا يزيد عن عشرين فرنكاً

– اما ارتاه حسنها

– الله اعلم

فشكرها حينئذٍ رودلف ونفحها بقبضة من الدنانير

– فتظاهرت انسطاس بالانكار ولما لم يسعها الصبر عليهِ لأصرار رودلف قبلت العطاء مع المنة والشكر وفي ذاك الحين هبّ الفرد من رقاده اذ سمع صوت رودلف فلبس رداءهُ وخاطبهُ بعد السلام

– آه لو يعلم مولاي بما نالني من دهاء كبرون

– قد اتصل اليّ الخبر فتكدرت جداً

– ربما تعلم يا سيدي بهِ منصلاً اذفاتك زوجتي ان تذكر لك اشياء اخرى مهمة

– ما هي

– ان اثناء تغيب زوجتي في مهمة بدت لها لدى المسجل فرّاند اخذت اطالع بعض الجرائد حيلة للتسلية وفيما كنت اتصفحها طلعت عليّ من الباب فتاة

توسمت فيها الدناءة وحطة الشان وفي اثرها اخرى تجر ذيلها وتعرض عرضها فتقدمتا مني وصافحتاني قائلات انا جئنا نودعك بالنيابة عن صديقك كبرون فذعرت للحال واشتدّ رعبي حتى بدا لي وجه كبرون من النافذة وهو يتضاحك فسقطت من الوجل وهذا يا مولاي اصل تلك العلل

– لاعدت تبالي بالخوف من كبرون فان هذا الرجل قد ازمع السفر قريباً

وبينا كانا يتحدثان طلعت عليهما ريكولت فخف رودلف الى لقائها فحياها تحية الكرام وقال لها بعد السلام

– هيا بنا الى غرفتك فودّع انسطاس ملحًا عليها انجاز ما وعدت به لدى فرّاند

فلما اختلى رودلف بريكولت ابتدرها بالخطاب قائلاً

– ما شأن عائلة مورل

– انها من محمد الله على احسن حال

– مالي اراكِ حزينة كئيبة على غير عهدي بك

– يتفطر قلبي حزنًا كلما جال في خاطري ذكر اعتقال جرمن

– ايسوءهُ ذلك جدًا

– ويلاهُ فان الحزن قد برّح به فصار السهاد كحل عينيهِ والدمع ملء جفنيهِ

– اتكثرين زيارته

– كنت امس لديهِ وقد اخذت لهُ كتبًا للتسلية

– هل يرغب في المطالعة

– انها تستغرق اوقاته

– اني ابشرك بطلاقهِ قريبًا

– جزاك الله ياسيدي وعافاك فابقاك سندًا للبائسين واملاً للقانطين ثم

ذهلت إن اخبرك عن غنية

– وما جرى لها

– اني التقيت بها اثناء ذهابي لعيادة أليس مورل

– متى خرجت من السجن ومن كان يصحبها

– انها كانت برفقة كهلة

– فعرت اذ ذاك رودلف الحيرة فقال لها اني لا اصدق ما تقولين ربما كانت تلك المقابلة في المنام

– كلاً ياسيدي وقد وقفت معها برهة من الزمان نتبادل التحية والاخبار

– ما كان داعي مجيئها الى باريس

– ربما كان لقيادة بعض المسجونات

– او صح هذا الامر لكنت عرفت به

– لا اقول الاَّ ما شهدت بهِ اذني ورأتهُ عيني وقد أتت على ذكرك في عرض حديثها معي

فتوقف حينئذٍ رودلف عن الحديث عجبًا واندهالاً فودّع ريكولت معتذرًا اليها باشغال تستدعي انصرافهِ عجلاً فسار يريد نزلهُ في شارع بلومت وهو يفكر بامر الابنة ولما كان القلق والاضطراب قد اخذ منهُ ماخذًا عظيماً دخل حجرتهُ واستلقى على المتكإ وهو يمعن الفكرة في عواقب المصير . وفيما هو على هذه الحال دخل عليهِ الحاجب يعلن لهُ قدوم والترموري من نورمانديا على القطار فاستخف رودلف السرور وزايلهُ الهم والكدر فامر الحاجب ان يستدعي اليهِ الزائر عجلاً ليشاوره في الامر

الفصل التاسع

حبوط بولودري

فدخل مورفي على رودلف مسرورًا طلق المحيا وعندما مثل لديه قال له
— بشراك يا سيدي لقد قارن اعمالنا التوفيق واسعدنا الحظ على احباط مساعي بولودري ونجاة دوريني من خطر الموت
— ما شأن مدام دي هرفيل
— لقد سرت سرورًا عظيماً بخلاص والدها وهي مازالت تهيم بذكرك وتترنم بشكرك
— ما صار اليهِ الشقي بولودري
— قد أتيت بهِ معي
— أهو عندك
— نعم
— اين مقره الآن
— مغلول الايدي في شارع اوفيف
— ألم تعانِ في رفقتهِ شدَّة
— كلا لانني تهددتهُ باشهار امرهِ لدى الحكومة
— احسنت فهات يا مورفي ما عندك من الاخبار تفصيلاً
فالقى مورفي يدهُ في جيبهِ فاخرج كتابًا دفعهُ الى رودلف قائلاً. دونك

يا سيدي كل ما عندي

فاخذ مورفي الكتاب ففضّ ختامهُ ونشرهُ فاذا هو يتضمن ما يأتي

الى سمو الامير

« انني افتتح كتابي اليك أيد الله سمو سيدي الامير ببث الشكر عما اولانيهِ

«من فضلهِ وكرمهِ وما اسبغ عليَّ من جزيل عطائهِ ووافر نعمهِ

« ثم اعود بعد الدعاء جهد القاصر في التعويض الى سرد قصتي ونثر

« عبرتي

« اني قد زايلت ووالدي كلارا باريس على القطار الى نورماندیا وفي صحبتنا

« الشهم مورفي فلما بلغنا القصر دخلنا توًا ردهة الاستقبال فجلست فيها برهة ريثما

« أخذنا الراحة ثم قمت الى حجرة والدي اريد مقابلتهُ وكان الخدم اثناء استراحتي

« قد اعلنوا قدومي لخالتي مدام رولان فتقدمت اليَّ وتصدت لمنعي عن الزيارة

« بحجة ان والدي مريض لا يسعهُ التعرض للهواء فلم ابالي بصدّها فتقدمت الى

« الحجرة ودخلت اليها فالفيت الدكتور بولودري واقفًا امام طاولة يهيء العلاج

« فلما رأى الطبيب اخفى الزجاجة بعد ان نقط فيها نقطًا من زجاجة اخرى

« وما كان ذلك الاَّ عن اشارة خفية استمدها من خالتي بحضوري فاوجست للحال

« من هذا الامر خيفة فلم اصبر على الغدر فتقدمت الى الطبيب وانتزعت منهُ الزجاجة

« وحذرًا من ان أُهي لديها خطر لي في الحال ان ادعي بنسيان امتعتي في موقف

« القطار فقرعت الجرس حتى مثل امامي الخادم فامرتهُ ان يشير الى خادمي في

« الخارج ليأتيني بها (وكان هذا الخادم رفيقها مورفي ارسلت اليهِ الاشارة للنجدة)

« فاعترضني والدي منكرًا عليَّ ما اتيت بهِ

« فاجبتهُ والدمع يهطل من عيني سيولاً . اني لم افعل الا رجاء انقاذك من

« شر اعدائك فساء خالتي هذا الجواب فالحت على والدي ان يبعدني او يزايل

« المقام فلم يسع ابي صدها فنهض معها وقبل ان يخرجا اخذت والدي بيده

« وقلت لهُ . ابي اني فعلت حبًا بك وحرصًا على حياتك فلما طرق سمع بولودري

«هذا الكلام عمد الى التنصل من تبعة المكيدة فقال انهُ لا يمكني الوقوف على هذه
«الحال التي صرنا اليها ومن رأيي الانصراف فتحوَّل جهة الباب فلقيه مورفي
«فارتعد الطبيب من مرآه ووقف كالحائر لا يدري اين يسير
«ولما كنت اخشى ان يصيب سيدي الملل من قراءة الكتاب المسهب
«اضربت عن وصف ماجرى قبيل هذا اللقاء تاركاً لمورفي سبيل تفصيلهِ شفاهاً
«للامير

فعند ذلك نظر رودلف الى مورفي وقال لهُ كمل ما قصرت عنهُ كلياً فانس فاني اتوق الى استماع القصة بحروفها لا سيما وقد رأيت ان دخولك على الطبيب كان سبباً لانزعاجهِ وباعثاً لهُ على الحذر والاضطراب

فقال مورفي — يا سيدي انني تقدمت الى الكونت فسألتهُ العذر عن دخولي عليهِ قبل الاذن ثم عرفتهُ بانني خادم الامير مكسيملان رودلف وان السبب الذي من اجله دخلت الغرفة هو مساعدة ابنتهِ على خلاصهِ من مكائد الغادرين التي وضعت في الجرعة التي اشار بها الطبيب وطلبت اليهِ ان يأمر بتحليلها اذا كان في ريب من صدق المقال

فسألهُ رودلف — ما كان جوابهُ على خطابك

— انهُ انكر علينا صحة الدعوى بدليلها الواضح الثابت وابى تصديقنا فعمدت اذ ذاك الى بولودري وخلوت بهِ فتهددتهُ باشهار امرهِ اذا صدَّ عن الاقرار بما في نفسهِ فذكرتهُ بجرائمهِ وتهددتهُ بكشف الخبايا في زوايا ماضيهِ اذ كان هو العامل في قتل والدة المركيزة (ارملة الكونت) وانهُ يسعى اليوم بالائتمار مع مدام رولان على هلاك الكونت . فوعد في عندئذٍ بالاقرار فسألتهُ بصوتٍ عالٍ

— الست مكرهاً ايها الطبيب على قتل الكونت . فاجابهُ بكل صراحة نعم يا اخي

فسألهُ رودلف — فما كان من الكونت لدن سماعه هذا الجواب

— رفع الحافظة نحو العلاء وبكى

فاطردت الاستنطاق قائلاً

— ألم تذهب اليك مدام رولان في شارع التامبل

— بلى

فعند هذا الجواب تقدم الكونت فعانق ولده كليانس وضمها الى صدره موعزًا الى مدام رولان ان تخرج للحال من قصره وكان من نيته ان يدفعها الى الحكومة لولا ان ابنته امسكته عن ذالك

ثم اتم رودلف قراءة ما سطر في ذيل الكتاب وهو

«انني قصدت السفر الى نورماندي بطريق فونتاليه ومنها الى باريس حيث «يسعدني الجد على الاجتماع بك وقد فاتني ياسيدي ان اذكر لك نتيجة زيارتي «الاخيرة سجن سان لازار حيث لقيت الابنة التي قصت عليّ خبر اختطافها من «مزرعة بوكوفال فاخذت على عاتقك تربيتها وانا كنت قد وعدتها بالخلاص «لكن المصيبة التي المت بي حالت دون انجاز وعدي فعسى ان تكون قد اهتديت «بجهدك الى اثر فريستي فراندو وبذلك اغدو اسيرة فضلك

«كليانس»



الفصل العاشر

البحث

خلا رودلف بنفسهِ برهة ثم قال مخاطبًا مورفي — كيف العمل توصلاً الى ماري

— مولاي بالصبر الجميل نيل كل مرام

— اذهب يا مورفي للحال وابعث رسولاً على ظهر الجواد يطير الى مزرعة بوكوفال ليأتي بمدام جورج

آه لكن ما الفائدة من ذهاب الرسول وقد اخبرتني ريكولت بانها رأتها خارج السجن برفقة كهلة

— عليَّ يا مولاي بجمع الاخبار وغدًا آتيك بالطبيب براودري

— مورفي ان منظر هذا الرجل يذكرني في حوادث الماضي . . . وهنا ستر وجههُ بكفيهِ يفكر في نفسهِ

— مولاي دع الغم والكدر

— ان مرآه ذكرى شرور عظيمة وحسبي منها وفاة والدي

— بالله يا مولاي اجل عنك الكمد وحدثني عن الكونتس سارة

— لم اسمع عنها شيئًا منذ انقذت المركيزة في شارع التامبل . مورفي اليك اشكو امري

— سيدي ان جرمانيا تشتاق الى لقيانا فلنعد اليها

– سنعود اليها بعد ان ارد الى مدام جورج ضالتها واقتص من الظالم فراند
– ليس لنا الفوز بذلك قبل وصول سيسلي
– قد دخلت الموضع المقصود
– هل اخبرها دي كراين بما يترتب عليها فيه
– نعم
– هل وعدت بالقيام بحق الواجب
– وقد أيدت وعدها باليمين
– متى نقابل فرّاند
– اليوم
– بشراك اذن بشراك لقد كتب لنا الفوز

وقبل ان يتما حديثهما قرع الباب فدخل ناقل الرسائل و بيده غلافان الواحد باسم رودلف والاخر باسم ولتر مورفي

فاخذ رودلف الكتاب فتأمل ظاهره فعرف من الطوابع التي عليه انه من مدام جورج ففضه وبعد ان اتى على قراءته تماماً هتف قائلاً

– ان هذا الكتاب جاءني بخبر اختطاف الابنة
– من اقدم على هذا العمل
– ان الجاني لم يزل مجهولاً
– لمَ تاخرت في الخبر
– ان الرسول الذي طلب مقابلة الابنة عندها غرّها وخدعها فاوهم عليها انه جاء من قبلي وان قصده اصطحابها اليّ لاغراض بدت لي معها
– مولاي اخاف ان تكون سارة قد اتت ذلك الامر فاذا صح ظني فما الراي
– اذهب للحال فابعث دي كراين اليها يسالها عن الابنة واخبره ان يهددها اذا انكرت عليه الجواب

— لبيك يا مولاي وانا اقصد ايضاً سجن سان لازار علني استفيد من اخبارها شيئاً

— افعل ما بدا لك

— لكن اسمح لي يا مولاي ان افض كتابي فاقرأهُ الان بحضرتك لان على ما يظهر لي من طوابعهِ انهُ من مرسيليا

ففض مورفي الكتاب وعقيب ان قرأه قال

— قد جاءني بشبلت ما ترددت فيهِ فهو من وكيلي في مرسيليا يخبرني بسفر فتاك الى الجزائر . فان هذا الشاب بعد ان بلغ مرسيليا وكاد يركب البحر قفل راجعاً فاخذ من وكيلي مبلغاً من الدراهم وهو آت على القطار الى باريس

— لا بدَّ ارجوعه من سبب

— لا ريب

— متى زايل مرسيليا

— في العشرين من هذا الشهر

— فانهُ عند وصولهِ لا بدَّ ان يطلعنا على سبب عودتهِ اما الان فعليك يامورفي اتمام ما امرتك بهِ

فذهب للحال مورفي فابلغ البارون دي كراين امر مولاهُ وسار كل لشأنهِ

ولم يكن الاَّ برهة حتى مثل دي كراين امام رودلف فابتدرهُ الامير بالسؤال

— ما شأنك يا رجل

فتنهد دي كراين واجماً . فالح عليهِ رودلف بالجواب قائلاً

— مولاي اخشى ازعاجك بالخبر

— ما بالك تتردد في شرح الحال عجل بالبيان . أَمات

— كلاَّ ولكن طعنت بخنجرٍ

– من الضارب

– غير معروف

– هل القي القبض عليهِ

– كلاً لانهُ امعن للحال في الفرار بعد ان سلب الجواهر

– ما شانها الآن

– ان حالها تنذر بالخطر

– يا لها من مصيبة كبرى . عليك ايها البارون ان تتردد اليها كل يوم

وفي ذاك الحين عاد مورفي من سان لازار فدخل على الامير الذي استقبلهُ بهذا الكلام

– ان سارة لفي خطر عظيم

– على الباغي تدور الدوائر

– ما اتصل بك من اخبار ماري

– ان قد اطلق لها العنان فخرجت برفقة خادمة المركيزة دي هرفيل

(ان مدام سيروفيم كانت قد دخلت السجن بهذه الصفة

– لا اصدق ذلك لان المركيزة كانت قد استنهضت همتي في كتاب بعثت بهِ اليَّ لانقاذ الفتاة من السجن ثم انبأَتني ريكولت بانها لقيتها في رفقة كهلة تقطع الطريق بالعربة . فيا للحيرة من تراه يفيدني حقيقة الخبر وقد أُصيب مصدره الثقة بمصيبة تودي بها فمن لنا بعدها لكشف هذا السرّ الغامض

– فقال دي كراين ليس لنا يا مولاي الاّ سبيل واحد

– وما هو

– ان نعرف اسم الكهلة رفيقة ماري

– أَصبت فاذهب إِذن وابحث عنها عالك تقف على اثرها

– سمعًا وطاعة

الفصل الحادي عشر

وكالة فرّاند

اننا ندخل وكالة هذا الرجل حين اجتماع الكتبة على مائدة الطعام فنسمع ما دار بينهم من الحديث . قال احدهم

— مَن منكم رأى الجارية التي قامت مقام مدام سيرفيم

— اتلك التي كانت في رفقة بوابة التامبل

— لم أرَها

— وانا ايضاً

— أنّى لنا ان نراها وقد سمعت المسجل يوعز الينا بان لا يسوغ لاحد منا ان يتجاوز عتبة الدار دون اذن الرئيس

— ما لنا وهذا الايعاز يخطر لي ان ادخل اليها اثناء وجود البواب في الحديقة

— فضحك الشالومال (احد الجواسيس) حتى استلقى وقال يا للغباوة فاني رأيت الشخص الذي تتوقون الى مرآه

— اين لقيتها وما هي اوصافها حققها لنا

— انها تفوق ألبس بحسنها وجمالها وهي لابسة على الزي الالستيني (زي راج بين قرويّ جرمانيا)

— كيف توصلت الى مرآها

— انني بينا كنت اجول امس في الفناء رأيتها من وراء الزجاج

— صدق شالومال في ما قال

— مالنا الآن والاغراق في البحث عن اوصافها فلنعدل الى ذكر التغيير الذي حدث في هذه الدار منذ دخول هذه الصبية

— لا بدَّ ان تكون قد ملكت فؤادهُ فتملكت عليهِ وعندي ان العاقبة شرٌّ من المقدمة

— والدليل على ما ابان صاحبنا ان فراند يتغيب عنا الآن اياماً بعد ان كان يلازمنا ملازمة السوار للمعصم

— ودليل اخر نحوله واصفراره

— وانا اسند ما تدَّعون عليهِ بما شهدت من الأثر في عينيهِ

— منذ يومين اتاه اربعة رجال يطالبون مشافهتهُ فصعدت اليهِ بالطلب ففرعت الباب فلم يجبني احد فدخلت دون استئذان

— ما رأيت ثمَّ

— الفيتهُ مكبًّا على الطاولة دون حراك

— ربما كان في سباتٍ

— اني عرضت عليهِ الطلب منذ دخولي فلم ينتبه فدنوت منهُ وهمست في اذنهِ فلم يشعر فحركتهُ قائلاً مولاي إنَّ في الباب رجالاً يطلبون مشافهتك فهبَّ حينئذٍ من غفلتهِ مذعورًا فسقطت نظارتهُ على الارض فرأيت . . .

— قل ما رأيت

— دموعًا تجري

— انصدق في ما تقول

— لا امين

— ما كان داعي بكاه

— لست اعلم فانهُ حالما انتبه من رقاده زجرني قائلاً انطلق عجلاً لا اريد

مقابلة احد

— فبما اجبت اصحاب الطلب

— ان يأتوه غدا

وعند ما انتهى بهم الكلام الى هذا الجواب دخل زعيمهم المكتب فقال له الشالومال مولاي جزعنا من الانتظار للطعام

— انني كنت في حاجة لدى سيدي وهو بالحقيقة فاقد الرشد

— ما دليلك على دعواك

— انني شهدت فيهِ منذ يومين امرًا لم اشهده من قبل ودوانهُ يقصد الحديقة ليلاً متعرضًا للرياح والامطار وبينا هو يتمشى فيها امس رآه البواب فظن انهُ يطلب حاجة فاسرع اليهِ وسالهُ ما يبغي مولاي فزجره وارسلهُ مُنتهرًا مهانًا . وانا الآن دخلت عليهِ وبيدي بعض اوراق اريد توقيعها فرايتهُ جاثيًا على الارض ساترًا وجههُ بيده هاتفًا صارخًا الى ربهِ . فاجمت حائرًا من وجوده على هذه الحال . اما هو فارتمى على يدي كالولهان لايعي من شدة الوجد والهيام قائلاً

جودي ارحمي مضنى يذوب بكِ جوًى يقضي اسى والله ان لم تنعمي

فلما سمعت هتافهُ تحققت انهُ مصابٌ بحمى وانّ ما فاه بهِ هذيان فقلت له

— مولاي انا كاتبك

— فما اجابك

— انهُ تردد برهة بين الحيرة والذهول لايدري ما يقول الى ان انتبه اخيرًا فرآني وصاح — ما سمعت فاجبتهُ مولاي لم اسمع شيئًا فاني جئتك بهذه الاوراق لتوقعها فاخذ الاوراق وامضاها دون ان يقرأها . ثم انصرفت وبينا انا منطلق سمعتهُ يقلقل مفتاح الباب المؤدي الى الحديقة

— ربما كانت هذه الحوادث التي تلم بهِ نتيجة حزنهِ على فقد مدام سيروفيم

— انعرف ما حدث في هذه الايام

— كلاَّ

— اني قرأت في جريدة ترابينالس الرسمية خبرًا يفيد القاء القبض على زمرةٍ من الاشقياء في حانة براروج وقد سيقا جميعهم الى لافورس

—لا ريب ان جرمن يأنس بهم

— وأليس مورل ايضًا

— ربما كان في جملتهم الشقي الذي طعن الكونتس سارة بخنجره وقد ارسلني فرّاند امس لاستعلام حالها التي اتجهت الى الابلال

— هل رأيت المكان الذي جرت فيهِ الحادثة

— كلاَّ

فنبههم الشالومل اخواني اني اسمع وقع اقدام في الرواق فليجلس كل في مجلسه ولم يكن الا برهة حتى دخل جاك الوكالة متخطيًا الى الحديقة دون ان يكلم احدًا تاركًا الابواب مفتوحة

الفصل الثاني عشر

الهوى مطية الهوان

ان رودلف كما ذكرنا قبلاً كان قد تمكن من ادخال سيسلي امرأة الطبيب داود الذي مرّ بنا ذكره في القسم الاول دار المسجل بواسطة بوابة التامبل لتستقر بها وتوقعهُ في شرّ ما جنت يداهُ فمنذ دخول الغاوية انقلب عيش

فرّاند واشتدّ هيامهُ وكثر ارقهُ لانها عرفت كيف تستميلهُ بحسنها المقرون بالدهاء والمكر . فارصد لها فرّاندمقصورة احسن فرشها وزينها بابدع ما لديهِ من الطرف . ففي احدى الليالي الماطرة بينا كانت سيسلي واقفة امام المستوقد في غرفتها سمعت وقع اقدام في الرواق فبادرت للحال الى الخزانة فاخرجت منها خنجرها والفتهُ على الطاولة ووقفت تراقب حركة الساري وفيما هي في ذاك الموقف سمعت صوتًا يناديها همسًا سيسلي سيسلي فلم تجب مناديها وأَخذت تنشد بصوتٍ شجي ابياتًا غرامية نطرب الجماد فاشتدت تنهدات فراند من الخارج وزادت حسراتهُ الى ان سمعت زفراتهُ فاطفأَت المصباح ودنت من الباب وسأَلت

— من الطارق

— زائر يتمنى سمرك

— مولاي ما بالك واقفًا في الخارج عرضةً للرياح

— آه يا سيسلي ما احلى محياكِ

— انت واهم يا سيدي بجمالي

— انا على حقيقة بينة من حسنك

وهنا اخذ فراند يفيض باساليب تشف عن اعجابهِ بحسنها وهيامهِ بها تارة يصفُ خدها وتارةً اخرى قدها اوانةً شعرها واونةً صدرها الى ان اعياهُ الوقوف على جمر الوجد فطلب اليها ان تفتح الباب ليدخل فيجالسها او يغازلها فاجابتهُ عجبًا يا مولاي لشيخ استخفهُ طيش الشباب فهمّ بمن تأْبى سماع ما يخل بالاداب ومن دونها حجاب لا يشق الاّ اذا شاب الغراب فدناجاك من الباب فرفسهُ يريد كسرهُ . فنهضت عند ذلك سيسلي ووقفت امام النافذة لتحوّل فراند عن قصدهِ فسأَلتهُ

— ما البيان على حبك لي

— اتريدين ان اثبتهُ لكِ بالمال

– كلاَّ فاني في غنى عنهُ

– أَلك ثارٌ اخذ بهِ

– كلاَّ

– اترغبين بالاقتران معي

– اني ذات بعلٍ

– اذن ما تريدين مني

اعلم انك تطلب اليَّ ان اودعك نفسي فعليهِ اطلب اليك في مقابلة ذلك ان تسلمني نفسك بشرح ما جرى لك حياتك كلها حتى اعرف بسرك وجهرك فاوكد عند ذلك حبك لي

— ها انا ابسط لكِ الماضي من اعمالي فاسمعي . انهُ منذ عشر سنوات اقتبلت وديعة عندي تبلغ عشرة الاف فرنك فقضيت على صاحبتها بالغرق قرب جسر اسنار طمعًا بالمال واوقعت فرنسوا جرمن بتهمة السرقة فاودعتهُ السجن وانتهكت حرمة أَليس مورل وسلبت مال البارونة دي فارمونت وكتماً لهذه الاسرار قضيت على قيمتي بالموت غرقًا . فحسبي ما كشفت لكِ من الاسرار فاسعدبني الآن باجابة السؤَال فان اعضائي تقلصت من شدة البرد

فدفعت اليهِ سيبسلي المفتاح ليفتح الباب من الخارج فاخذه فرَّاند بلهفة وشرع يعالج القفل فلم ينجح لان الباب كان مقفلاً من داخل فعاد فرَّاند اذ ذاك الى الجارية وقال لها خدعتني يا حبيبتي

فقالت لهُ – اني لا اصدق ما قلت فان الذي قصصتهُ عليَّ كان ربما زورًا فما البينة

فاخرج عند ئذٍ جاك محفظة من جيبهِ ودفعها الى الجارية قائلاً لها– دونك البينات على صحة ما اوضحت فارحميني

فاخذت سيبسلي المحفظة فوضعتها بين اسنانها وعمدت الى النافذة المطلة على فناء الدار فالقت معها وشاحًا ابيض ثم ادلت الحبل الذي كانت قد عقدتهُ

من قبل على حديد النافذة فتدلت عليهِ حتى بلغت الارض فالتحفت بالوشاح وقصدت العربة التي كان ينتظرها فيها البارون دي كرابن كل ليلة فلم يعلم فرّاند بفرارها الاَّ بعد ان كانت قد قطعت مسافة بعيدةً فعاد بصفقة المغبون يندب مصيرهُ وما زال تلك الليلة يتخطى في داره من الغم والكدر حيناً في الحديقة وحيناً اخر في الدار الى ان ساقهُ الذهول الى جانب الحفرة التي دفنت فيها أليس ثمرة الخيانة فسقط على الارض

الفصل الثالث عشر

لافورس

هو معقلٌ يعتقل فيهِ المجرمون في فرنسا عظيم البناء فسيح الارجاء تالف من ثلاث طبقات قد قام وسط حديقة غناء نترقرق فيها الماء من كل جانب وقام ايضاً الى جانبهِ بناء اخر حسن الانقان ينتابهُ اعضاء لجنة السجن

يدخل الى ذاك المعقل من دهليز امتدَّ على طول البناء فتوفرت فيهِ مقاعد حديدية لجلوس الزائرين الذين ياتون لتفقد احوال اصدقائهم ومعارفهم وكان داخل السجن مقسماً الى اقسام عديدة مظلمة يدخل اليها من باب مصفح بالحديد يليهِ سرداب عريض حصين خصَّ لوقوف المسجونين فيهِ وقت الزيارة

فاذا وقفنا داخل هذا البناء ونفرسنا بساكنيهِ رأينا نفراً منهم قد تالب على نقولا مارسيال و برابيلون اللذين القي القبض عليهما في حانة براروج حسبما

تقدّم لنا الكلام في شانها

ثم ابصرنا فرنسوا جرمن معتزلاً حزينًا في احدى زوايا السجن وفيما نحن وقوف بالباب مرّ بنا الحارس يريد نقولا مارسيال ليعلن لهُ قدوم احد زائريهِ فتسالنا متعجبين من تراه ذاك الشاب الذي قدم لزيارة نقولا ورحنا نتطلع اليهِ فعرفناه وكان احد اعوانهِ دادي مكو . فلما مثل نقولا امامهُ ابتدرهُ بهذا الخطاب

— ما شانك يا خليلي

— الحمد لله على فضلهِ

— كيف انت والعمل

— اسير سير المجد في جادّة النجاح وها اني اتيت ملبيًا دعوتك

— اهلاً بك من صديقٍ كنت اعهدهُ صدوقًا

— ما بالك يا اخي تعرّض بصدقي

— أأنت الآن باقٍ على العهد كما كنت قبلاً

— ان حبي يزداد وينمو نموي في العمر

— فما عندك من الاخبار

— سل ما بدا لك فاني جئت اليك في قضاء رغائبك

— اكرمت فكم عندك من صفائح النحاس

— قطعتان وقد اتيتك بشيء من الزاد والخمر

— ألم تاتني بشيء من الحلوى اتفكهُ بعد الطعام

— لا خفاك يا اخي اني عاجزٌ عن الوفاء بمطاليبك كلها

— لا تنكر عليَّ يا اخي ما اطلبهُ منك تعويضًا مما كنت اقدمهُ لك من النحاس وخلافهُ

— بالله يا نقولا خفض صوتك لئلا يسمعك الناس

— لا اكلمك الاّ علنًا قبلت ام لم تقبل

— فافعل ما بدا لك لكن عجل باظهار حاجتك عندي

– اريد ان تفي بما يلزمني ويلزم والدتي وافلين فتقوم لديهما مقامي واذهب الآن اليهما فاخبرهما باني صرت اشد باساً من قبل وكل من تراه في السجن يرهب سطوتي وقد عرضت عرض ابي بالجراءة والاقدام وحذوت في سيرتي حذو جاك كانش استاذهُ (هذا الرجل كان اشهر لصوص العالم)

– سانقل لها مقالك بالحرف الواحد

– فاتني ان استعلمك حال نزلائك

– هم على احسن حال

– ألم يزل روبنصن الاشل نزيلك في براسري

– سيوافيك غداً او بعد غد ...

– ما ارتكب هذا الرجل

– سلب دراهم

– اهلاً بهِ فاني اتوق الى رؤياهُ وانا في حاجة شديدة الى وجوده هنا معي فاعهد اليهِ العمل في ابتلاء جرمن الذي اجمع الكل على انهُ جاسوس بيننا فاذا حق قولك جرّعه الموت دهاقاً

– فمن هو جرمن الذي تشير اليهِ اشاب هو

– نعم

– وهل لك عهد بهِ من قبل

– لا اعرفهُ بل سمعت عنهُ شيئاً

– ما هو

– كان روبنصن قد كمن لهُ شرّاً

– لماذا

– لانهُ نمَّ باحد رفقائهِ

– اذن صحَّ قول رفاقي فيهِ

– هذا اذا اعتمدنا على قول الاشل

— احسنت يا اخي في ما اوضحت فاني احذر رفاقي منهُ واعدهم بقدوم من بيليو · لكن قل لي متى يكون عندنا

— اليوم دون ريب

واذ بلغا من حديثهما هذا الحد نهض مكو فودع نقولا وانصرف من عنده وبينا هو يتخطى فناء السجن رأى ريكولت تعدو عدوًا سريعًا قاصدة الدهليز فعارضها صاحب السجن في مسيرها وكان في الخامسة والاربعين من سنيهِ طويل القامة فقال لها

— لاحاجة لي الى ان اسألك الغرض من قدومك

— ما شأنهُ يا سيدي

— ما زال كئيبًا حزينًا

— آه ما اشدَّ عذابي وما اعظم شقائي

— واذ كنت امس اجول داخل السجن ابصرت بهِ وجهًا مقطبًا مكمدًا

— ألم يزل في خطر

— ان المسجونين يسوءُهم مرآهُ لاعتزالهِ عنهم

— اما من ذريعة لابعاده منهم

— بلى وهي ان ينقطع في غرفة خاصة · لكن ذلك يستلزم النفقة

— اسفاه من اين لي ان افيهِ ذلك

— لا باس فاني منذ الان اراعيهِ واعني بهِ جهدي لكن لا بد ان تنذريهِ وتحذريه

— وها انا ابلغهُ الامر واحرصهُ على اتباعه

— لكن قد مضت الان فرصة الزيارة ومع ذلك فالبثي هنا ريثما يكون قد انتهى احد الزائرين من مقابلة صديقهِ فاقابلك بجرمن

فتقدمت ريكولت الى الدهليز وجلست تنتظر الاذن

وكانت هذه الفتاة في الثامنة عشرة من عمرها وعلى وجهها لمحة من الحسن

والجمال نشأت يتيمة عيالاً على بعض المحسنين الى ان بلغت العاشرة فسعت اذ ذاك في طلب المعاش

وبينا كانت تتجول في ازقة المدينة ليلاً التقى بها العس فساقها الى السجن حيث تمكنت من معرفة ماري فتعلمت منها الخياطة واقامت لديها الى ان صدر الامر بالعفو عنها فنزلت في شارع التامبل حيث كان نازلاً فرنسوا جرمن فتصادقا وتعاهدا على الحب والولاء

الفصل الرابع عشر

زيارة لافورس

كان في موقف الانتظار اثناء وقوف ريكولت فيهِ سجين يدعى فورتيه دو بارت أربى على الاربعين من عمرهِ نحيف البنية ضئيلاً تلوح على جبينه سيماء المكر والدهاء قد اعتقل عن سرقة اجترمها

وكان قبالتهُ على المقعد امرأة نحيلة الجسم في الخامسة والثلاثين من عمرها تمسح دمعها باطراف القناع وهو يسأ لها ان تكفكف دمع الاسف فتجلوله عن اخبارها وشؤونها قائلاً لها

— ما بالك يا جولهات لا تخاطبيني بغير الدمع

— اخي يشق عليَّ ان اراك نزيل السجن مرة ثانية بعد ان لبثت فيهِ في (ميلان) خمس عشرة سنة

— لا باس فقد مرَّ بي هنا ستة اشهر

— نشدتك الله الاَّ اخبرتني بالسبب

— انني تعرفت يوم كنت في سجن ميلان برجل اشل وهو الان في شارع براسري

— أعن روبنصن تعني

— نعم

— دعنا الان منهُ وكمل ما ابتدات بهِ من قصتك.

— ان هذا الرجل عند ما كان رفيقي في سجن ميلان دلني على تجارة ادفع بها عني غارة القضاء. فلما انتهت مدة سجني وخرج عني خرجت اسعى في طلبها وبينا انا وسط الطريق أصابتْ ماساقني الى هنا . . .

— لكن قولي لي يا شقيقتي هل درت امي بسجني

— كلاَّ انها حسبتك مهاجرًا الى الجزائر . كمل كمل قصتك

— كنت زايلت ميلان اجد السير توصلاً الى هذه الجهات ولما ادركني الظلام في طريقي عرّجت على « اوتيل » ابيت ليلتي فيها حتى الفجر ولما كنت مضطرب الافكار مال بي النعاس وبينا انا نائم سمعت همسًا قريبًا فانتبهت وابصرت في من حولي تحت جنح الدجى فرايت امراة ترافق رجلاً فاصخت سمعًا الى حديثهما فاذا هي تقول لهُ

« احرص على الوديعة التي تودّ عناها السقط اذ كنا بمعزل عن العيون»

اما انا فلما تلقيت هذه الكلمات اخذتني هزّة الفرح فقمت انتظر بذاهب الصبر بعادهم عن عياني حتى اذا اقلوا و بانوا تركت الكهف الذي بتُّ فيهِ

— ولِمَ اتخذت الكهف لك مقيلاً

— لضيق ذات يدي

— ما كان ثمَّ منك

— انني قمت اجول اثرهم حتى وقفت بباب سرير كان على مسافة من

بيتي فقرعتهُ مرارًا دون مجيب

– كيف تيسر دخولك اليه

– لما لم افز بفتحه وجدت ثغرةً في ظاهرهِ فولجتُ منها ونقبتُ في داخلهِ الى ان عثرت على السفط في زاوية منهُ فعالجتهُ حتى انفتح فاخرجت الدراهم منهُ وعدت فخرجت من حيث ولجت وما كدت اطأُ الارض حتى القي القبض عليَّ الحارس وساقني الى السجن

– هل بحتُ بسرك

– نعم ولكن لا تجزعي

– ما شانك مع رفاقك

– اني واياهم على وفاقٍ تام اقصُّ عليهم الروايات والقصص الغريبة فيحسنون اليَّ ويعطفون عليَّ . لكن ما لي اراكِ نحيلة مكمدة

– هذه اثار الحزن والكآبة

– ما شان صهري

– بالله دعني من قصتهِ

– لِمَ تنكرين ذكرهُ

– لانهُ سبب شقائي واصل عنائي

– ماذا ابدى حتى اعتدى

– آه لقد غادرنا منذ ثلاثة ايام دون زاد بعد ان باع كل ما لدينا من المتاع

– لِمَ كتمتِ عني امره

– اتقاء كدرك

– ما شانك واولادك

– لولا العناية الالهية لكنا في بوار

– وما كان بعد ذلك

— أن الله عوضنا من فضلهِ ما فقدناهُ فانني لما عدت يومًا من شغلي في احد الحوانيت وجدت البيت وقد تزين باحسن اثاث وابدع فرش

— من المحسن الكريم ؟

— هو الله الذي لا يخيب رجاء من وكل امره اليهِ · لكن ذاك الشقي ما ابث يبذر مالهُ في المعاقرة والمقامرة الى ان نفد ما في الوطاب فعمد اخيرًا الى بيع وقب البيت

— ألم تصديهِ عن فعلتهِ

— ويلاه انهُ كل مرة كنت اعترض عليهِ كان يلقاني بالسب والضرب

— كان من الواجب ان ترفعي امره للحاكم

— قصدت يومًا احد المحامين قصد ان اعهد اليهِ بحق الدفاع عن حقوقي مع زوجي فاقتضى مني نفقة خمسمائة فرنك فلم اجبهُ الى هذا لقلة وفري

— كان اذن من الحكمة ان تخفي عنهُ الدراهم والمتاع

— فعلت ذلك قبلاً فما نجحت وقد اتاني اخيرًا بكهلة يريد ان ينزلها في حجرتي

— ألم يبق على شيء من المتاع

— كاد يعبث بالبعة الاولاد

— يا لهُ من رجل قاس لم تمس فؤاده الشفقة والرحمة

— يا ليتهُ وقف عند هذا الحد من اسرافهِ وتبذيرهِ فانهُ خطر لهُ اخيرًا ان يبيع كاترينا لكنني أبيت واصرّيت على مهاجرتهِ فارعوى وسار بالكهلة ومنذ ذاك الحين لم اقف لهُ على اثر ·

— أما من نصير لبلواك

— جهدي وكدي

وكانت ريكولت تسمع كل ما دار بين السجين والزائرة من الحديث فأوت اليها وعطف قلبها عليها فرأت ان تخبر بامرها رودلف علهُ يأتيها بشيء من

عنده وبينا هي تردد هذه الخواطر اعترضها زائر اخر فجلس بينها وبين الزائرة فساء ريكولت هذا الاعتراض لكنها ما لبثت في مكانها تسمع نتيجة الحديث

فاستطرذت جوليات حديثها بعد ان تنفست الصعداء وامسكت برهة عن الكلام فقالت

– آه لولا جهد ولدي كاترينا وكدها لكنا الان امواتًا

– ان هذه الابنة غدت اذن سلونك في وحدتك

– نعم ليس غيرها

– ألا يمكني ان انجدك بشيء

– من كان نظيرك وجبت خدمتهُ

– اخشى ان يعود زوجك فيطالبك ببيع كاترينا

– دون ذلك موتي . أما من شريعةٍ تنتصف لي منهُ

– كيف لا ولكن لا بدَّ من النفقة . فاني عزمت من الآن ان اجمع لك من المال ما يفي بقيمتها

– من اين لك ذلك

– اني احرز المال بقص الروايات على اقراني وفي هذا اليوم وعدتهم بروايتي المعروفة

– لقد فرجت كربي بخبر راحتك

– ولولا ذلك لكنت في حال اشقى من حال ذاك السجين الذي اوقعوه بالتهم فتحاملوا عليهِ بدعوى انهُ جاسوس بينهم (مشيرًا الى جرمن)

– اياك ان تدعهم يمكرون بهِ

– لا قبل لي بذلك

– من تراه زعيمهم

– السكلتون . فها ان الساعة تؤذن بالانصراف فعودي الان الى اولادك ولا تغفلي عني

فودعتهُ المرأة وهي تكفكف دمعة الفراق والاسف

اما الزائر الذي اعترض بين ريكولت والمرأة التي كانت تخاطب السجين كان رجلاً اربي على الاربعين من عمره وقد تقلد حساماً فتاملتهُ ريكولت برهة فعرفتهُ انهُ كان في جملة الشرط الذين القوا القبض على مورل الجوهري النازل في سرداب شارع التامبل · فهلعت من مرآه وقامت تجد في اثر الزائرة التي خرجت من الدهليز وما زالت تتبعها الى ان ادركتها فابتدرتها بالسؤال قائلة

– افقد بلغني ايتها السيدة انك خياطة

فاجابتها مدهوشة من سؤالها — نعم هذه حرفتي

– فمنذ الان صرت ارسل اليك ما يشغلك

– فلكِ الشكر سلفاً . لكن ارجوك ان تصرفي عني العجب من مبادهتك لي بالسؤال في مثل هذه الحال

– اني اقص عليك الخبر دون تمويه . قد وعيت حديثك مع اخيك فاخذتني الشفقة عليكِ فقصدت نجدتك وهي أيسر ما ألاقي . لما كنت خياطة وكثيرًا ما اضطر الى يد في العمل معي صرت استدعيكِ الخ فتكرمي عليّ بعنوان محلك

– اني نازلة في محلة السيدات عدد ١٠ واسمي جوليات دو بارت

فعلقت ريكولت اسم المرأة وعدد منزلها على رقعة الزيارة وشكرت الله الذي وفقها الى الاجتماع بتلك المراة التي وجبت عليها مساعدتها

فودعتها ريكولت وعادت الى حيث كان الشرطي واقفاً لتقف على حديثه فلندعها الآن في موقفها تنتظر نهاية الكلام الذي سننقلهُ للقارىء

الفصل الخامس عشر

بولارد

ان الزائر الذي دخل الدهليز عقيب انصراف فورتين د و بارت كان بيري بوردن قد جاء لمقابلة السجين بولارد و بعد ان تبادلا التحية قال الشاب لزائره

— عجبت من امساكك عن مخاطبتي مدةً اشتد عليَّ فيها وقر القهر

— ان لي اسبابًا تمهد لي عندك العذر

— ما عندك

— لا بد انك تعرفت بالفيكونت سان رامي

— نعم

— فانهُ قد انتحل لقبًا بغية ان يستر جريمتهُ

— ما ارتكب هذا الفتى وعلى ما اقدم بالله قص عليَّ قصتهُ تمامًا

— يوم عهد اليَّ مع ماليكورن بالقاء القبض عليهِ

— ماذا اجترم

— انهُ سرق جواهر

— لمن هي

— لذلك الجوهري الذي كان يجد مورل ولما عثر الجوهري على غريمهِ رفع الامر الى الحكومة فبعثت الينا بهِ لنسوقهُ الى السجن

— هل ادركتماه

— كلّا انهُ كان قد امتنع في مزرعة اورنفال خاصة الدوقة دي ليسني فتتبعناهُ اليها ولكن لم نقف عليهِ لانهُ كان قد امعن في الفرار قبل قدومنا اليها

— ألم يزل طريدًا

— نعم وهذا هو السبب الذي قسرني على الاعراض عن جوابك

— لاريب عندي في اخلاصك

— ما حاجتك اليَّ

— ان حاجتي لكبرى فزدني من حبك ثقةً اقوى بها على كشف اسراري الك

— لا خنت الك عهدًا يا اخي فبح بما في ضميرك وانا اليك بما يعود بالخير عليك

اعلم يا اخي ان صديقًا زارني منذ سنة فاودعني مبلغ ستين الف فرنك وبان وفي اثناء تغيبهِ ابهظني الدين وجدَّ اصحابهُ في اقتضائهِ مني فاضطررت الى انفاق قسمٍ منهُ في سد الحاجة ودفع اللجاجة فما طال الزمان حتى عاد الصديق بعد حين وطالبني بالوديعة فترددت في تسليمها فما زال يلح عليَّ حتى دفع الامر الى الحكومة فاعتقلتني

— ألم يبقَ معك شيءٌ من المال

— بلى عندي منهُ النصف لكن ارجوك ان تذهب في قضاء امر لي

— ما هو ٠

— اقصد حبيبتي (الكسندري) النازلة في جيرة قبة النصر و بلغها حاجتي الى يدها

— لبيك وهل لك امرٌ اخر اقضيهِ لك

— ان تذهب الى قصري فتبلغ اهلي ان يرسلوا اليَّ السرير ثم عرّج على الموسيو بودوين وافهمهُ ان يبعث لي محاميًا يقوم بالدفاع عني ثم بلغ مدام ميشوني ان تدأب ارسال الطعام جريًا على العادة

— كن مطمئناً فاني انفذ اوامرك بكل دقة ولكن اين تقضي الوقت بعد الغدا

—اخطر في فناء السجن مع احد رفاقي الذين تعرفت بهم هنا وهو على ما يتبين لي اشرّ الناس مكرًا

— ما اسمهُ

— السلكتون

— يا لهُ من اسم غريب

— هو زعيم الاشقياء في السجن وقد أتى من الجرائم ما يطير لها القلب هلعًا واخيرًا قد أودى بحياة رجل وامرأة وعن قريب سيصدر عليهِ الحكم بالاعدام

— ما هذا الرفيق

اني ارى نفسي في حاجة الى مفارنتهِ لانهُ يدفع عني شرّ الاخرين

عليك اذن بالحكمة والسداد في سيرتك معهُ

— اني اشكرك على عنايتك ما فيو بخيري

— فاسمح الآن ان اودعك على امل ان القاك قريبًا

— رافقتك السلامة يا اخي

فعاد بولارد الى السجن تحت مراقبة الحارس وانتهت النوبة الى فرنسوا جرون فركض الى الدهليز لمقابلة زائرته



الفصل السادس عشر

اليفا الصبا

لما مثل فرنسوا امام ربكولت نهضت اليهِ فسلمت عليهِ قائلة لهُ

– اهلاً بالصديق الامين

اما الحارس فاعتزل جانبًا يريد ان يخلي لهما المقام ويجعلها في امن من شر العيون

فاجابها فرنسوا – يا لكِ من صديقة صادقة في حبها لقد غمرتني بفضلك حتى لم تدعي لي مجالاً للشكر

– حبيبي خلِّ عنك الكلفة واشرح لي سبب نحولك

– آه وهل من سبب اعظم مما الاقي من اهوال السجن فيخال لي في كل دقيقة ان الخطر قريب

– وما توجس يا اخي

– انهم ائتمروا على قتلي

– لِمَ لم تبادههم بالموانسة

– لقد ضاع عندهم اللطف وتاه الانس فلا يهوون الاّ قتل النفس

– عسى الكرب الذي امسيت فيهِ يكون وراءهُ فرج قريب

– اذا لم يكن غير الاسنة مركبٌ . فما حيلة المضطر الاّ ركوبها . فاخبرني ما كان اثر كتابي في نفسك

ولما كانت ريكولت تترصد الفرص لتبث شكواها للجرمن وضحت اذ ذاك اسرَّة جبينها وابرقت عيناها فقالت

– لا يغرب عنك ما عراني من . . .

– من الكدر ربما

– كلاً من السرور عند ما قرأت رسالتك ونقَّلت القلب من معانيها ولا غروَ فانهُ قام لديَّ مقامك فحكى لي غرامك وشرح لي هيامك فمن لي بلسان يقوم مقامي فيترجم لك غرامي

– هذه اوهام صوَّرها لك (كبرون)

– بربي اني احبكَ ان لم تصدق فسل قلبك

– لا تغنيني الآن معاهدتك على الحب والولاء وانا اسير القضاء

– ربما نلت الفرج بعد هذا الحرَج

– آه ان تمَّ لي الخلاص هجرت باريس

– انا لديك أيةَ ذهبت

وعند ذلك برز الحارس من حجابهِ وتقدم الى ريكولت فانذرها بانقضاء أجل المقابلة وسار الى باب السجن فانتهزت الفتاة فرصة انقلابهِ عنها فعانقت فرنسوا وانصرفت وفيما هي منصرفة تصدَّى لها الحارس في طريقها فقالت لهُ

– لقد ابلغتهُ يا سيدي اوامرك فوعد بالعمل وفقها

واستأنفت المسير نشوانة من خمرة الحب

وفي اثناء لقيا فرنسوا بريكولت تمثل المشهد الآتي في قاعة (عرين الاسد)

الفصل السابع عشر

عرين الاسد

هي قاعة من قاعات السجن يجلس فيها المجرمون على مقاعد تحيط بداخلها من كل جانب

وكان في احدى زواياها باب صغير مصفحًا بالحديد وفي صدرها مستوقد للاصطلاء . وبين كان نقولا ومارسيال وبرابيلون جالسين عند النار كان السلكتون مستويًا على المقعد في صدر القاعة كان لم يخطر على بالهِ خطر الحكم الذي يتهدده ويتوعدهُ بالاعدام . وفي اثناء وجودهم في القاعة افتتح السلكتون الخطاب موجهًا الى نقولا قائلاً لهُ

— اتؤكد ما قلت

— لا ريب ان جرمن جاسوس بيننا

— ما البينة على ذلك

— حسبي ان اخذت الخبر عن ثقة

— لا بدَّ لي ان اطلع على مصدره

— دادي مكو رواهُ لي

وصدَّق جميع الحاضرين الرواية فهتفوا كلهم فليقتل اما السلكتون فقال

— اذا حقَّ ما تدعون وجبت معاقبتهُ

— واي عقاب ندبره

— عليَّ بتدبيره اتفاقًا مع روبنصن

— فاعترض احد المسجونين وكان اسمهُ جوفان قائلاً والحراس

— ان فورتين ياللثنا عليهِ

— لا عزم عندهُ ولا همة

— يا لهُ من ماكر ختال . اين هو الان

— انهُ في ردهة الاستقبال

— وجرمن

— قائم هناك ايضًا

— لا نستطيع امرًا دون ساعد فورتين دو بارت

— كيف يتيسر لنا ذلك ولا سبيل

— قلت لكم اني انا زعيم بهِ

— واذا درت الحكومة بك

— انا الغريق فما خوفي من البلل حبذا الساعة التي افارق فيها هذه الدنيا

— فقال خقولا لا انكر باسك وعزيمتك على مناصبة الاهوال والاخطار وشأ نك شان والدي المسكين يوم حكم عليهِ بالاعدام فانهُ استقبل المنية بجنان ثابت وثغر باسم

فنهض الكل يضجون بصوتٍ واحد فليحي سلكتون ومارسيال . ثم اطرد السلكتون حديثهُ وهو يهتز تيهًا وفخرًا الى ان قال

— يا لهُ من يوم مشهود يوم اساق الى تلك الشجرة الباسقة في باحة سان جاك حيث يزدحم الناس الوفًا فيحدقون بي بعيون دامية وانا انظر اليهم نظرة النشوان بخمرة العز والفخر فاريهم كيف تعلو القيم في الحالين وتغلو الهمم في الامرين

وفي تلك الاثناء سمع ضجة داخل السجن فاسرع برايبلون لتحقيق الخبر ثم عاد على الاثر ليبشرهم بقدوم روبنصن

فسألهُ السلكتون – وجرون اين هو

– لم يأتِ بعد

– بالله اخبرني عند قدومهِ

فذهب برابيلون ينتظر قدوم فرنسوا داخل السجن

الفصل الثامن عشر

الائتمار

ان روبنصن دخل القاعة معتمدًا على رجل يدعى مورك في الثلاثين من عمره فلما اقبل على رفقائهِ نهض جميعهم لاستقبالهِ مترحبين بقدومهِ قائلين

– اهلاً بالصديق الوفي لقد وطأت سهلاً فان نفوسنا تاقت الى رؤياك

ثم تقدم اليهِ احد الحاضرين وقال لهُ

– اجلس يا وحيد ميلان وعزيزها واسمع روايات فورتين دوبارت

– هل هو هنا

– نعم

– اين موضعهُ

– في عرين الاسد

فاستمر روبنصن سائرًا الى ان بلغ القاعة فرفعوا الكل رؤوسهم اليهِ واقبلوا بالتحية عليه فاجلسوهُ بينهم على الرحب والسعة وعندئذٍ انتظم عقد

اجتماعهم برئاسة السلكتون فنفخ هذا بالصور فالتأم كل من في السجن تحت لوائهِ ولما انتظم الحشد وقد تبوأ كل موضعه قام الرئيس بينهم يسأل روبنصن الاشل ٠

– انعرف يا صاح شابًا اسمهُ جرمن

– نعم وهل هو هنا

– نعم

– فهذا شاب يقوم بيننا جاسوسًا فلا طاقة لنا على احتمالهِ

وقد استحسن الكل رأيهُ فذهبوا مذهبه

اما الرجل الذي كان رفيق روبنصن لم يتهافت الى التصديق قبل ان يسمع البينة ويأخذ الدليل على دعواهم فقال لرفيقهِ روبنصن

– ربما كان ما تدعون وهماً فما البينة عليهِ

– فساء السلكتون هذا الاعتراض فتقدم الى روبنصن وهمس في اذنهِ قائلاً

– من هذا الرجل

– هو رفيقي

– اياك ومكره

– كلاً فانهُ ليس كما توهمت

– فهاج المسجونون وصاحوا دوننا باتهام جرمن

فاستانف روبنصن الخطاب قائلاً – ان رجلاً يدعى جاك كفل هذا الشاب فنشأهُ على اشهر الاساتذة ثم وضعهُ في مصرف نويل في « نانت » الى ان نفذ مال جاك فاغراهُ على السرقة فابى واعلم صاحب المصرف بمكيدة كفيلهِ

فما لبث الحضور يضجون طالبين اعدامهُ خوف ان ينم باعمالهم لدى الحكومة فيشهر امرهم ويذيع غدرهم الى ان قدم برابيلون لاستماع الحديث دون ان يبصر بالرجل الغريب الذي كان دخل عليهم عند ذكر جرمن

اما مورك رفيق روبنصن فكان يعارضهم بقولهِ

— اننا لا نقدر على اعدامهِ

فقال لهُ السلكتون — لماذا

— لتردد الحراس بيننا

— لدينا اذن سبيل ندفعهُ اليهِ

— ما هو

— اننا ندعو فورتين دو بارث الى قص روايته فيأتي جرمن لاستماعها وبينما يرانا الحارس متأملين حول الراوي ينصرف عنا ويخلي لنا المجال فننقر فيهِ ما شئنا

— احسنت ولكن ربما جاء الينا بولارد

فدهش مورك من هذا الكلام وقال — أبولارد هنا

— نعم وما الداعي لانذهالك

— انهُ سلب لي كمية من الدراهم

فسالهُ السلكتون — من تعني

— بالضابط

— انعرفهُ

— عن يقين

— فلا نتأخر اذن عن الاخذ بثارك

— للحال

وفي تلك الساعة قرع جرس الطعام في السجن فجلسوا جميعهم على المائدة

الفصل التاسع عشر

اضمار الحقد

ان السجين الذي كان قد دخل خفية قاعة عرين الاسد اثناء الحديث لم يبال بمكرهم لانهم عندما دخلوا على الطعام اتخذ كل الوسائل التي تقيه الشبهة فتلبس عليهم حتى اذا انتهوا من طعامهم قاموا جميعًا الى القاعة حيث يتوقعون استماع رواية فورتين دو بارت الذي كان لم يزل وقتئذٍ على المائدة مجالسًا جرمن فيحدثهُ بما ياتي

– قد قصدت يا اخي ان اخلو بك لاكشف لك ما في ضمائر برابيلون والسلكتون من الشر فقد تعاونوا على قتلك فالحذر كل الحذر من غدرهم وما اتيتك هذه النصيحة الاّ بيان ما في نفسي من معرفة الجميل لشقيقتك ريكولت عما تبديهِ نحو شقيقي من الخير فاعمل بها حرصًا على حياتك والسلام

ولما انتهى من كلامهِ قام يريد القاعة حيث كان السلكتون بانتظاره وقد الح عليهِ بالحضور عجلاً بلسان نقولا مارسيال

وفي تلك الاثناء دخل الضابط بولارد فاشار السلكتون الى مورك ان ينهض لمقابلته ونزاعه فما كان الاّ كطرفة عين حتى نهض مورك فتقدم الى الضابط وابتدره بضربة قائلاً

– الدزام الدرام·

فتلعثم لسان بولارد وبهت برهة ثم تمكن من الكلام فقال

– و يل امك ما هذه الجرأة

– هات الدراهم دون اعتراض

وما زالا يتبادلان الشتم الى ان افضى بهما الى اللكم ثم الى الضرب ففاز مورك بخصمه اذ تصدّى له بضربة القتهُ على الارض موجعًا فاشتد الهياج بين القوم وعلت الجلبة فاقبل الحارس للحال على محل الحادثة ففصل بين الخصمين فساق الجاني الى والي السجن واعتقل بولارد في غرفة بمعزلٍ عن الاخرين

وفي تلك الاثناء قصفت الزوابع وهطلت الامطار وتتالت البروق فاجلت لنا بوميضها عمن كان داخل قاعة عرين الاسد · فراينا السلكتون و برابيلون ونقولا مارسيال وروبنصن الاشل والغريب الذي كان قد دخل السجن خفية عن برابيلون وغيرهم من الاشقياء الذين ضمهم السجن فوحد بينهم وبينا كان هولاء مجتمعين يتحادثون سوية دخل فورنين دو بارت فابتدره السلكتون بهذا السوءال

– ما الداعي لتأخرك

– حديث جرى بيني و بين جرمن

– أأنتَ كنت تحدث الجاسوس

– انكم لعلى ضلال من امرهِ فهو ليس بجاسوس بل من الكرام

– لا صحة لما تقول

– بلى وتربة والدي ومع ذلك ما لكم وله فان غدا ينصرف عنكم

– الى اين

– الى مكان اخر

فعرت السلكتون دهشة لم تمنعهُ من اتمام الحديث فاطرده موجهًا الى برابيلون

– هيا بنا اذن الى العمل قبل فوات الوقت فانّ لدينا ساعة من الزمان نقضي بها ما فكرنا فيهِ وعقدنا النية عليهِ

فنبضت ثم فريسة فورتين وقال — عجباه لما تلجون في الايقاع بهذا المسكين وما عهدت لهُ ذنبًا

— ان لبرابيلون ثارًا عليهِ ولكن من يعلم ربما يعدل عن حقده عليهِ

— بذلك يغنم اجرهُ

فقال نفولا — اني اضمن لهُ حياة جرمن دون شرط واحد

— وما هو

— ان يقص علينا قصتهُ المشهورة

فاجاب فورتين وقال — لا ارضى بذلك دون النقود

فاذعن الكل لرأيهِ فجلسوا حولهُ وبينهم فرنسوا جرمن يسمعون الرواية

الفصل العشرون

جزاء الباغي

قال الراوي من زار قرية بولاندا الواقعة بين شارع روشيه وباتيته فتنقد معاهدها ومصانعها على عهد دولة بونابرت ودخل اليها اليوم مع القارىء لرأى عجبًا من اندثار تلك الاثار ودك تلك القصور المشيدة التي لم يبق الزمان منها الاَّ على بيتين في الجهة الشمالية يأوي الى احدهما رائض وحوش والى جانبهِ بيت اخر يسكنهُ رجلٌ يدعى الدرمان وتجارتهُ الخمر

فالرائض كان قد جمع لديهِ عددًا من الحيوانات توسلاً للعيش فضلاً

عن ذلك انهُ كان قد عني بتربية عشرين طفلاً جمعهم من الشوارع والازقة فنشأ هم ايضـاً طلبًا للعيش حتى اذا اشتدّ ساعدهم ارسلهم واحدًا واحداً الى القرى ومعهم الحيوانات المدربة لكسب الدرهم

وكان اصل هذا الرجل نكرة لا تعرف اسمر البشرة اسود اللسان لم يكن يعهد بمثلهِ من قبل

فاعترضهُ مورك متعجبًا من هذا الكلام — كيف يكون ذالك

— لا عجب يا صاح فلا بدّ ان يكون ذلك عن وحام امهِ

وفي تلك الاثناء اذنت الساعة السجن بالثانية فهمس السلكتون باذن الاشل قائلاً

— يجب ان نبادر للعمل قبل الرابعة والحارس لم يبرح من مكانهِ

— اننا عند نهاية الرواية نقضي ما كان منويًا

ثم استطرد الراوي الكلام فقال

وكان في جملة الاولاد الذين جمعهم الرائض فتى بلغ الثالثة عشرة من سنيهِ وكان اسمه فيروس نحيف البنية حسن الصفات كريم الخُلق والخَلق مكروهًا بين ارفاقهِ . فيومًا اذ عاد من رحلتهِ صفر اليدين ليس معهُ ما يفي برغائب سيده حمل عليهِ وتهدَّدهُ بالضرب فامعن الفتى في الفرار فاقتفى الرائض اثره الى ان ادركهُ فارجعهُ الى موضعهِ حيث اعتقلهُ فبات فيروس من اجل قساوة مولاه على فراش القلق والوجل لا يلين لهُ مضجع ولا يخف لهُ مدمع الى انهُ بينما كان ذات ليلة ملقى على وسادهِ ولجت ذبابة في انفهِ فدوخته

وعند ذلك اذنت الساعة بالرابعة والحارس لم يزل في الحضرة فساء السلكتون من وجودهِ ولما لم يرَ بدّاً من اخراجه قال

— بالحقيقة يا فورتين انك ثرثار مكثار لقد بالغت في الوصف حتى نبا سمع الحارس من كلامك

فاجاب الحارس — لا باس اني سابقى الى ان ياتي على تمام ما جرى

لفيروس مستانفًا

فنظر الحضور كلٌّ الى الاخر متسالين عن الذريعة التي تمكنهم من ابعاد هذا الرجل اتمامًا لرغائبهم اما الراوي فاخذ باكمال القصة قائلاً

وكان عند هذا الرائض حيوان ضار كبير الجثة يدعى كاركوس قد سجن عليهِ في محل منفرد عن الاخرين

ففي احد الايام بعد ان ارسل الزمرة الى القرى ابقى فيروس عنده حيث دعاه فاحتملهُ الى عرين ذاك الوحش يعترك معهُ فاخذه بين مخالبهِ فمزق ثيابهُ وهشمهُ تهشيماً

فصاح الرجل الغريب بينهم — آه لو كنت شاهداً هذا العراك لانقذت الفتى من مخالبهِ و بطشت في الوحش فقطعتهُ اربًا اربًا

واطرد الراوي الكلام فقال — وكان صوت الولد قد دون تلك الناحية فسمعهُ الدرمان فاسرع الى العرين وهو لا يعلم بالحادث فلما رأى الغلام بين مخالب الوحش خلصهُ والتفت بعدئذ الى الرائض قائلاً له و يلك ما هذه القساوة وما هذا العمل

فارتجف الرائض عند مرآه فحاول ان يستر عملهُ بالحيلة فقال لم افعل الاَّ قصد تطريق الغلام على مقارعة الوحوش

فوجم الدرمان وعاد الى حانتهِ فبعث الى الولد بزجاجة خمر وشيء من السكر ليعالج بهما نفسهُ من الذعر والضعف

فاخذها الرائض وبدلاً من ان يسقي الغلام منها تجرعها وعاد الى عملهِ كالاول

— فهتف الجمع تبًا له من رجلٍ عنيف ظالم

قال الراوي ولما انتشرت سورة الخمر في دماغ الرائض شد الغلام بالوثاقات والقاه بين مخالب الوحش فقلبهُ برهة وكان هذا الوحش اشفق عليهِ من ابيهِ • وكان ذاك الفتى يصيح مستجيرًا والرائض يتهدده بالموت كلما صاح

صيحة الى ان الله اجاب هتاف الغلام فارسل ذبابة للرائض فدخلت اذنهُ فالقتهُ على الارض من شدة الالم

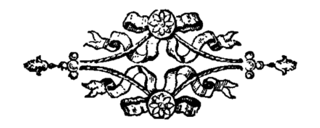
– فضج اذ ذاك اهل السجن على الباغي تدور الدوائر

ثم اتم الراوي كلامهُ قائلاً – فلما رأي الوحش ان صاحبهُ قد استلقى على الارض وثب عليهِ كيداً فالتهمهُ مغادرًا الولد في حال يرثي لها من الخوف والالم الى ان اذنت الشمس بالمغيب عادوا الاولاد الى المنزل فوجدوا الباب موصدًا فكسروهُ ودخلوا فوجدوا اباهم ملقى على الارض مهشماً وحيا لهُ الغلام الموثوق فحلوهُ من وثاقاتهِ وعالجوهُ الى ان فرّج عنهُ فاخبرهم بما جرى فاجتمعوا اذ ذاك جميعًا حول تركة الرائض يقتسمونها بينهم

فعند هذا الكلام نهض الحارس يريد الانصراف فرضهم على التزام السكون فوعدهُ السلكتون بهِ ثم همس باذن الاشل قائلاً

لقد حان الاجل وما من مانع يمنع ان ابطش فيك يا فرنسوا جرمن فارتمى عليهِ كالوحش الضاري يريد التهامهُ

فسلم نفسهُ فرنسوا تسليم الحمل للذبح دون ان يعترض بكلمة .



الفصل الحادي والعشرون

جرمن وباسمة خارج السجن

وبينا كان السلكتون يحاول الاضرار بفرنسوا واذا بهاتف من داخل السجن يقول لم يقع في الفخ سواك ايها العتي الظالم فذهل الكل من هذا الكلام وانتظروا قائله . واذا بالرجل الغريب قد شق حلقة الجمع ببأس الاسد فاخذ السلكتون بطوق رقبته واوجعهُ ضربًا

فتعجب أهل السجن من هذا العمل وجعلوا ينتظرون ختام الخصام وفي تلك الاثناء تخلص فرنسوا وهو يرتجف من العي والضعف

وما زال الخصام يشتد الى ان اتصل الخبر الى الخفراء فوفدوا عليهم مسرعين فشتتوا شملهم وساقوا فرنسوا جرمن والسلكتون والغريب الى دار الوالي

ولما كان جرمن لا يقوى على السير استند الى عاتق احد الجند واضطر اخيرًا ان يسقط على الارض عياءً فحمل ووضعوه في غرفة هناك ريثما تثيب روحه اليهِ . وكان الى جانبهِ الحارس الذي وقع في نفسهِ حب ريكولت . فلما افاق جرمن نظر الى الحارس وقال لهُ

— ليت لي لسانًا يفصح بشكري لجميلك واحسانك لاسيما بشكر ذاك البطل الذي اسرع لنجاتي من يد البغاة الظالمين . لكن بالله اخبرني اين هو الآن

— قد دخل حجرة المستنطق حيث يعطي حسابًا عن اعمالهِ

— بربك قل لي ما اسمهُ

— انني اجهلهُ وغاية ما اعرفهُ عنهُ انهُ قضى نحوًا من عشرين سنة في سجن طولون

— وما السبب الذي جيء بهِ الى هنا

— لجريمة سرقة

— ما يكون عقاب المجترم في مثل هذه الحال

— يقيم خمس سنوات في الاعمال الشاقة

— آه يا للعجب كيف ان الرحمة مست فؤاده وهو لا يعرفني فانقذني من يد الاشرار الذين ائتمروا على قتلي لاسيما من ذلك الضاري الفتاك

لا ياخذك العجب من تدابير الله واحكامهِ فانَّ العالم لا يخلو من رجال فطرت نفوسهم على حب الانسانية فيفدونها دون نجاة اخوانهم

— يا سيدي لو يرحمني الحاكم فيبعدني من زمرة الغادرين

— لقد صدر الامر بفصلك عنهم وفي هذه الليلة تبيت في المستشفى وغدًا تقيم في حجرة خاصة واذا عاودت ربكولت زيارتك تتجه حالاً الى العافية والابلال

— اني لا اعلمها بما جرى لكن الامر الذي يشغلني الآن هو التفرغ لشكر ذلك المحسن الجواد

— اني اسمع وقع اقدام في الرواق فلعلهُ ينصرف من حجرة المستنطق

فما زال ذلك الرجل يجري الى ان دخل حجرة جرمن فلما رآه الحارس رفع راسهُ اليهِ وقام مسلمًا قائلاً انك اتيت لوفق الامر فانتظرني هنا الى جانب جرمن واسمع منهُ ما يريد ان يبثك من عبارات الشكر لمعروفك

وعقيب ان فرغ الحارس من كلامهِ راح تاركًا الغريب وجرمن يتبادلان الحديث . فقال الغريب

— اني اعد ذاتي سعيدًا لتوفيقي في نجاتك

— جزاك الله يا اخي على احسانك فان من كان مثلي ضعيفًا لا يلزمهُ الاّ الدعآء

— هي واجبات قضيتها فلا استلزم الشكر عنها

— لم اعهد لنفسي حقوقًا عليك

— اني عرفتك ومعرفتي بك جعلتني اقتحم كل خطر في دخول لافورس فحدق جرمن في الغريب وقال — بالله قل لي كيف كانت معرفتك بي وقد علمت من الحارس بانك . . .

فاعترضهُ الغريب قائلاً — اني لصّ

فاندهش جرمن من جرآتهِ وقال — أما خشيت عقاب السرقة او كنت تجهلهُ

— كلاَّ

— ما الذي دفعك اليها أعن الفاقة

— كلاَّ أني كنت في غنى عنها وقد جمعت مبلغًا عظيماً

— من لك كل هذا المال

— من صديقي وصديقك رودلف

— تدعوهُ صديقي ولا معرفة لي بهِ

— اتنكر نصيرك

— بالله اكشف لي عن غوامض حديثك

فاخذ ذاك الغريب يروي القصة (وكان هو الفتاك بعينهِ قد تخطى دار السجن لخلاص جرمن ليس غير)

فقال — اعلم ايها الشاب اني آليت على نفسي خدمة الامير رودلف ما طال عمري واخذت عليها موثق الدفاع عنهُ والذود عن كل مصالحهِ . ففي احد الايام امرني سيدي ان اذهب الى الجزائر لمراقبة اموالهِ فلبيت الامر مطيعًا الى ان بلغت مرسيليا فاخبرت ان سيدي كان قد وكل الى رجل فيها

مساعدتي وامدادي بكل ما احتاج ولما كنت قد عولت الرحيل عنها وكدت اركب البحر الى الجزائر خطر لي خاطر عدل بي عن السفر فأتيتُ الى باريس حيث مثلت امام الامير وطلبت اليهِ ان يبقي عليَّ فيجعلني ابداً بين يديهِ لانهُ يعز عليَّ ان افارقهُ اوان اعيش بعيداً منهُ . فاجاب طلبي لا سيما ان عودتي كانت اوفق مرامهِ . فقال لي احسنت برجوعك فاذهب اذن الى سجن لافورس تجد فتى يدعى جرمن قد اعتقل عن سرقة اتهم بها فاعهد بامر عنايتهِ الى احد اصدقائك وادفع لهُ مقابلة لذلك مبلغ خمسمائة دينار

فهتف جرمن — رباه ما هذا الحنو وهذه الشفقة وذاك الاحسان آه لقد سمت نفسك الذل والصغار نجاةً لي حياك الله وبياك . يا نصير الانسانية ومثال الرحمة كمل كمل ما ابتدأت ان تطربني بهِ فاكشف القناع عن اسرار الحكمة والحنان

اخذت المبلغ من رودلف فاستاجرت حجرةً خفية عنهُ في شارع بروفانس وقد كنت تزييت بزيٍّ حديث وانتحلت اسم كركوار فذهبت بعد ذلك الى شارع التامبل فاشتريت منهُ ملاعق فضية وعدت الى الحجرة فالقيتهم فيها ثم قصدت البواب فبلغتهُ غيبتي عن المقام مدة لقضاء بعض مهام فقفلت الحجرة وتركت النافذة التي تطل على الشارع مفتوحة واحتملت معي هذا الثوب الذي تراه عليَّ حتى اذا جنَّ الليل تسلقت الى النافذة وكمنت فيها الى ان مرَّ بي عس المدينة فكسرت الزجاج ووثبت امامهم الى الارض فالقوا للحال القبض عليَّ وساقوني الى هنا بدعوى انني سارق على ان بدايتي كانت كما رأيت في غايتي

— هل عرف الموسيو رودلف بالامر

— كلاَّ فانني فعلت ما فعلت على غير علم منهُ

— لقد كدرتني يا اخي اذ جلبت لنفسك المضرة وسمتها الذل والهوان حباً بي فحملتني جميلاً ينوء بي حملهُ طول العمر

- لا تخف يا اخي فاني كما عرفت كيف انقذك يتيسر لي ان انجي نفسي من ضيق السجن فان الثياب التي كنت ألبسها قبلاً اودعتها بيت مورفي فابعث اليهِ بطلبها فاعود الى الحال التي كنت عليها قبلاً واجتمع ببواب شارع لابر وفانس فهو يشهد لي باني لست الجاني وقد عرفني معرفة تامة باسم كركوار اما الآن فارجوك ان تكتب الى مورفي ان يبعث اليَّ بالسفط وانا اعطيك عنوانهُ

و بعد برهة حضر الحارس فساق جرمن الى حضرة الحاكم واخذ فتاك الى عرين الاسد والسلكتون الى اقصى ظلمات السجن

فمن لنا بوصف فرح جرمن واندهالهِ عند ما مثل بحضرة الوالي والى جانبهِ ريكولت حبيبته تنتظر مجيء حبيبها فابتدره الحاكم بهذا الكلام

- لقد فرج عنك فاذهب معافى وخذ بيد هذه الفتاة (مشيرًا الى ريكولت) واذهب

فقامت باسمة للحال وقالت هيا بنا يا شقيق الروح فان العربة بانتظارنا خارجًا —

ففاض حينئذٍ جرمن بالشكر للوالي واخذ بيد باسمة وانصرف يريد على العربة شارع التامبل

فلما بلغاه جلسا سوية يقتطفان من مجاني حديثهما كل طيبة . فلنغادرهما الآن في خلوة عن العذول ولنعد الى ذكر ما كان من امر جاك فراند عقيب فرار سيملي

الفصل الثاني والعشرون

بيع وكالة فرّاند

انا ندخل منزل فرّاند فنجلس في مكتب الكتبة لنسمع ما يدور بينهم من الاحاديث بشأن رئيسهم المبجل

قال احدهم — اني أرى الموسيو فراند يزداد يومًا فيومًا غماً وقلقًا

فقال الاخر — هذا ما توسمتهُ فيهِ منذ غادرتهُ تلك الصبية طريح الوجد والهيام

— لا بد ان يكون قد علق بحبها

— اني سمعت عنهُ خلاف ماشهدتم فيهِ وقد قيل لي انهُ قد عدل الى التقوى ومال اليها كل الميل فصار نهمهُ الاحسان والرأفة

قال الشالومال — دعونا من هذا الحديث الذي لا طائل لهُ وتعالوا اقص عليكم من كل خبر اغربهُ ومن كل اثر اعجبهُ دون شرط واحد وهو الكتمان

— انا نقسم بان لا نبوح بسرك

— بلغني امس عن ثقةٍ ان فراند قد باع وكالتهُ واعتزل العمل

— هذا كلامٌ لا يسلم بهِ الصواب

— وعندي البرهان عليهِ

— من كان المشتري

— من الراجح ان يكون القائد روبرت

— كم بلغ الثمن

— نحواً من مليون فرنك

— لا عجب ربما كان من قصد فراند التفرغ لعبادة الله

— وما على الله امر عسير ربما قد تاب اليهِ تعالى فاحب التنسك والاعتزال عن الناس

— ما الداعي الى ترصد اولئك الرجال حيناً في الشارع وحيناً اخر في المكتب

— لا نعلم فلا بد من سرّ عجيب سينكشف لنا

— كلّ آتٍ قريب

— اين زعيمنا لم اره

— قد ذهب في قضاء مهمة عند الكونتس سارة ماكركوار

— ما شأن هذه السيدة

— مالنا والى الشفاء

— ان هذا الزعيم من أولي الجد فقد وافتهُ الاشغال دراكاً منذ رقي درجة جرمن

— فانني يا اخواني ان اذكر لكم شيئاً عن هذا الفتى

— هات بلا مهل

— قد بعث امس فرّاند الى صاحب سجن لافورس يسأله الافراج عن جرمن لان الدراهم التي كان قد اتهمهُ بها وجدت تماماً

— هل خرج من السجن

— نعم وصباح اليوم سار الى مزرعة بوكوفال

وبينا هم في سوال وجواب وايجاز واسهاب سمع صوت عربة في الدار فاطل الشالومال من النافذة ليتحقق الزائر فاذا هو احد اصدقاء فراند

فترجل وسار مسرعًا الى الباب فاطن الجرس ودخل يريد غرفة المسجل فدخل عليهِ وكان مجالسًا بولودري فلما رأياهُ قاما لهُ واحتفا بهِ فجاس الزائر مستعلمًا حال فراند

فاجابهُ المسجل — لم ازل اشكو من ملازمة الحمى وزد على ذلك فان الأرق قد انهكني حتى كاد لم يبقِ على حياتي

— قال بولودري . انهُ يا اخي قد نهج نهجًا حديثًا لا بدَّ ان يسليهِ ألا وهو الاحسان والرحمة

— اكرمت يا اخي أنى لي ان اكون كما وصفت

— بلغني ايها الصديق ان قد عزمت بيع وكالتك

— نعم قد تفرغت منها امس وانا الآن في راحة من نصب الاعمال

فقال بولودري — ارجوك ايها الصديق ان تحرصهُ على صيانة صحته لان الفقراء يضنون بها ويدعون ببقائها

فاجابهُ الصديق — لا ريب ان العناية بالصحة لمن الامور الجليلة بيد انني ارى في سيرة فراند انقلابًا عجيبًا لم اقف حتى الآن على سره

— عليَّ يا اخي ان اعرفك بالسبب

— فما هو

— ان ايقاعه بأليس مورل كان السبب الاكبر في هذا الابدال

فارتجف اذ ذاك فراند ولم يجسر ان يفوه ببنت شفت فاعترضهُ الصديق قائلاً

— هل كنت ايها الطبيب في باريس اثناء هذه الحادثة

— كلاً لكننا فراند الذي لا يسر عني شيئًا اعلمني بها منصلاً ومما يزيده ايضًا حزنًا على حزن هو تغريبه القيمة مدام سيروفيم

— لاشك ان فقد هذه الخادمة التي قامت لديهِ مدة عشر سنوات لمفجع ولا غروَ اذا بكاها بكاء مرًا

لم انتهِ بعد من تفصيل ما أتى عليهِ صاحب المسجل فانهُ دعا اليهِ اخيرًا امرأة ذات بعلٍ لتقوم مقام مدام سيروفيم فاسبغ عليها النعم وارسلها من عنده تجر ذيول الكرامة في رياض السلامة

— اين كان مسيرها

— الى جرمانيا حيث تركت عيالها

— لله درك يا فراند من كريم جواد

وكان المسجل اثناء الكلام جامدًا مكبًا على الطاولة ساترًا وجههُ بكفيهِ

الفصل الثالث والعشرون

مصرف الفقراء

وفيما كان بولودري مجالسًا فرّاند وصديقهُ أخذ يعرّض باحسان المسجل ويتظاهر بالشكر منهُ على ما افاض فيهِ من الخير على المعوزين فقال للصديق

— لو تعلم بما جاد بهِ صاحبنا فراند على جاريتهِ سيسلي وما شملها بهِ من العناية والاهتمام فانهُ لما آنس منها الذكاء وآثار الكرامة ابى ان تقوم لديهِ مقام الجارية فاحبّ ان يعلي شانها الى حدّ انهُ اعرض لها بالعطاء وكشف لها عن غوامض اسراره الغطاء فباح لها بماضيهِ وامدها بما يكفيها غدر حاضر زمانهِ وآتيهِ وارسلها الى اهلها على جناح السرور تشيعها السلامة . وهيهات لمن كان مثلي ان يحيط بوصف احسانهِ وبتعريف جميلهِ وسعة جنانهِ

فقال لهُ الصديق – لقد احسن العمل جزاهُ الله وحقق لهُ الامل

فقال فراند لصديقهِ – بالله اسألك الاضراب عن ذكر ما ابديت والاشتغال بما من اجلهِ دعوتك فلبيت

– ان دعنك وجميل اتضاعك ينكر علينا الوصف والتعريف الاَّ اننا لا نتمالك اذا سمعنا بالاحسان من ان نذكر جميلك وفضلك بكل امتنان ومع ذلك اننا نجيل الان النظر في ما يشغل خاطرك ويقسر جهدك فابسط لديك ما اجريت عملاً باوامرك

انني اودعت مصرف فرنسا المبلغ الذي دفعتهُ لي بنية التعويض

– لقد احسنت فان هذا المال من احد المحسنين دفعهُ اليَّ من اجل مدام فارمونت تلك الارملة التي نشأت في انجه فارجوك ان تدفع لها منهُ مبلغ مائة الف ريال عندما تمثل بين يديك وتبرز البينة على ذلك

– اني اليك بكل ما تامر ني به

فاعترض عندئذٍ بولودري بقوله – لم ينتهِ بعد عطاء المحسن الجواد فان ضميرهُ يزجرهُ ويحضهُ على النظر في امر قومٍ اخرين لابدَّ لهُ من نجدتهم تخفيفاً لما في نفسه من الاثقال الباهظة

فسالهُ فراند – عمن تعني

– انني اوجهُ نظرك الى عائلة مورل المسكينة

– اصبتَ يا اخي فارجوك ايها الصديق ايضاً ان تمد هذه العائلة بشيء من المال الذي اودعتهُ الى قدر لا يتجاوز مائة دينار

ولما كان بولودري عالماً باسرار فراندوما يجنهُ قلبهُ لم يزل يلج في استطلاع الصديق على ما في نية المتجمل الى ان حملهُ على الاقرار بما زوى في طيات قلبه فقال – اعلم ايها الصديق الامين ان صاحبنا المتجمل المحسن قد اودعك المال اعتماداً على امانتك وخلوصك فلم يرغب ان يجود بهِ عن يده كتماً للاحسان وعدم التظاهر فيهِ شأن بعض الناس ولو سمح لي ايضاً اطلعتك على ما بدا

له امس من الخواطر التي تسر فؤادك ويرتاح اليها كل بائس مسكين

– ما تكون هذه الخواطر

– انهُ خطر لهُ ان ينشيء مصرفًا في شارع التامبل عدد ١٧ من شأنهِ ان يمد الفعلة والصناع بالمال الى حدٍ معلوم دون ربى ولا يقتضي منهم الاَّ الوعد الصادق بالوفاء متى مكنتهم الحال وقد عزم ان يقيم واليًا على هذا العمل زعيم كتبتهِ القديم الفتى النشيط فرنسوا جرمن تعويضًا لهُ عن التهمة التي اوقعهُ فيها منذ مدة مستطيلة قاسى فيها فرنسوا الذل وتعرَّض لخسران حياتهِ

فاجابهُ الصديق – انني لا ارى عجبًا فيما اسمع عن صاحبنا من اثر المبرات والخير فان مثلهُ من يدرك الغنى الحقيقي وقيمة الاحسان في الاخرى

فقال بولودري لو علمت يا اخي بعيشة فراند في الماضي وشظفها مع سعة ثروتهِ وطول باعه آه لما كنت تصدق الان ما تشهدهُ بعينك وتسمعهُ باذنك

– لا عجب فانَّ من ماثل الفقراء بالعيشة فحاكاهم بالسيرة مع سمو منزلتهِ لم يكن ذلك منهُ الاَّ عن رغبة في اختبار احوالهم حتى اذا حان الوقت الذي هو الان فيهِ بادر الى مساعدتهم ونجدتهم

ثم نظر بولودري الى فراند وكان قد امتقع لونهُ واكفهر فقال له

— ما بالك يا اخي لا تسر باعمالك فان مثلك من يفاخر الآن اعظم رجال البلاد واثراهم

فاجابه الصديق – انه لا يريد ان يعتد ببطلان مجد هذه الدنيا وفي نفسهِ نزوع الى الاخرى حيث ينتظر المجد الحقيقي والسمو الدائم

ثم اخذ بولودري بيد فرَّاند قائلاً لهُ – بما تمعن يا اخي وقد سرَّي عنك الهم في اشغال مجهدة

– آه اني كنت افكر بتوسيع نطاق هذا المصرف وتدبير الذرائع التي تكفل نجاحهُ ودوامهُ

ارجوك ايها الصديق ان تعتمد في ادارتهِ على لجنة نؤلفهـا خاصة للراي

والمشورة في العمل . وان تسعى في كل طريق لاذاعة هذا الاثر الحسن ليقبل الناس عليهِ علهم يقتدون بي فيزداد الخير ويرتد الفقر عن باب الانسانية

– لا ريب انك تنال في الملاء جزاء احسانك فيكافئك القائل «حبوا بعضكم بعضًا» جزيل المكافاة

– ثم اطلب اليك ايها الصديق ان تعتمد ايضًا في تمهيد ما كلفتك اليهِ على رأي وانر مورفي وهو صديقي فاستند اليهِ وبُح لهُ بما عندك مني وليس لسواه

– اني استنفذ الوسع في اجراء ما يكون لك فيه تمام الرضى وللمصرف غاية النجاح لكن مالي اراك وقد اكمد لونك وخارت قواك

– آه يا اخي اني ضعيف وقد جهدتني الافكار فاضرّت بصحتي ولكن لا باس فان الله ينظر اليَّ بعين عنايتهِ

– من الراي ان تلزم الفراش حرصًا على صحتك وان تستدعي طبيبك

فقال لهُ بولودري – اني انا طبيب وقد رأيت ان لا بد للمسجل من التزام الراحة ورعاية صحتهِ كل الرعاية

– فعليهِ اشرع الآن باجراء ما اشار اليهِ الطبيب وها انا انطلق عنك بعد ان ادفع اليك الوصل بالقيمة

وبينما كان الصديق يسطر الوصل نظر بولودري الى فرّاند نظرًا لا يقوى القلم على شرحه وبيانهِ . ولما انتهى الصديق من تسطيرهِ ودع المسجل وانصرف تاركًا بولودري الى جانبهِ

لا يخفى ان رودلف توصل بسعيهِ وجهده الى اكراه فراند عقابًا لهُ على ان يأتي ما اتاه من هذه الاعمال لا سيما انهُ احب ان يعاقبهُ بتشتيت المال الذي جمعهُ بالاعتساف والمكر

الفصل الرابع والعشرون

الندامة

ولما خرج الصديق من حجرة فراند وقد خلا ابولودري المقام نظر الى المسجل فقال له — لقد استوفرت عليك حق الدائن

فاجابه فراند بصوت دوت منه ارجاء المنزل — سحقاً لك من مخادع محتال حملني على تسليم مالي الذي كابدت من اجل احرازه شق النفس ثم ثاب الى نفسه فقال

— كلا لابدَّ ان يستوفي حقه آجلاً او عاجلاً

— لولا لم تفعل هذا لكان الخلد نصيبك

— لكن قد أديت فوق ما عليَّ فان مبلغ مائة الف ريال كان كافياً لوفائه

— لم ينتهِ بعد ما عليك

— ويلاه وما يتهددني

— ان الامير ر ودلف لفي المرصاد وهو على بينةٍ مما عليك فلا يزال بك حتى يستوفي احكام النصّ القائل . « السن بالسن والعين بالعين »

— فالفرار الفرار اذن قبل ان يدهمني البوار

— من اين لك ان تفر ومن فوقك ايدي الذين يراقبونك آناء الليل واطراف النهار

— ويلاه فالموت اذن غايتي

— هب انك فررت من عدوك فالحكومة تبعث في اثرك رجالها فتقبض عليك وتودعك السجن الى ان تقبض روحك فالوسيلة الاذعان وهي خير لك وابقى

— أأسلم ذاتي للقتل

— دون ريب

— الا انصرف من امامي يا كل البلاء والاّ اذقتك الموت

— الا تدري باني لا ابالي بوعدك ووعيدك وزمجرتك وتهديدك واعلم اني مجبور ان اقدم شهادة في كل احوالك جزاء ما نابني من الخسار عن يدك فقد اضعت نعمي سدى

— انسيت ما اخذت مني من المال بدل تعبك في تعميم اخي مدام فارمونت التي ابلغتها انهُ انتحر

— ان امرنا قد اشتهر بسبب تطوحك في غرام سيسلي وتسليمك لهواها

— صه لا تفه بهذا الاسم اصلاً

— يا فرّاند علينا بالاقرار فرارًا من الهلاك

— انّي ار ردلف دلازكنا

— له انصار واعوان وفي جملتهم سيسلي

— قلت لك ان لا تلفظ هذا الاسم بحضرتي

— مهما نقل فان في غرامك كل السبب وهو داعي الويل والخراب

— لا تلمني في حب من فعل لحظها في قلبي فعل السهام . فلو عاينت صدها تلك الليلة لاصابك ما اصابني من الجوى والهيام

— فما تأمل بعد ما اختلط في عقلك

— ليس الاّ ذكر حبها المقيم في فؤادي . اواه وهل تدري سيسلي بالحال التي غادرتني عليها بعد عناء وشقاء . وصد وجفاء . ما امرّ ما يقاسي الاحباب من الوان العذاب

فما كاد يتم فرَّاند شكواه حتى استلقى على المتكأ دون حراك ولم يكن الاَّ القليل حتى قرع الباب فدخل زعيم الكتبة فابتدره بولودري بالسوال عن مراده فاجاب — اني اطلب فرَّاند

— انهُ نائم فما غرضك عنده

— عليك بنجدتهِ قبل فوات الفرصة

— فما يتهدده من الاخطار

— كنت لدى الكونتس عن امره فكلفتني ان استدعيهُ اليها واذا تأخر عن الذهاب يقبض عليهِ لان الابنة التي كان اذاع خبر موتها لم تزل حية وهي عالمة بمقرها (ان الكونتس تزعم بان ماري ما زالت في سجن سان لازار كما بدا للقارى من احوالها وقد جهلت ما اتى على الفتاة من الحوادث التي ابعدتها منهُ)

فهزَّ بولودري كتفهُ استخفافًا وقال — دعها وشانها فانَّ لا اثر لما تزعم

— اتحسب ان هذا الجواب كافٍ لدفع المضار

— كن في أمنٍ من شرها ومع ذلك اني سابلغ فرَّاند متى افاق

— كيف اصبر يا مولاي على البلاء وعند الساعة يقدم اليهِ حاجب سمو الغراندوق مكسيمليان رودلف

فنبضت فريصة بولودري عند سماعه هذا الخبر فقال في نفسهِ لا بدَّ ان يكون قد اجتمع رودلف بالكونتس بعد فراق طال سبع عشرة سنة . آه ان هذا الملتقى الغريب يقضي بالخطر و يتوعدنا بالضرر . ثم التفت الى الكاتب وقال

— سرْ وانا ابلغ فرَّاند الخبر على الاثر

الفصل الخامس والعشرون

رودلف وسارة

لقد حان الزمان الذي بهِ يتيسر لنا الدخول الى قصر سارة ماكركوار فنطلع على ما كان من امرها اثناء تغيبنا عنها

ففي اخر النهار الذي خطر لنا ان ندخل بالقارىء الى ردهة القصر حيث حصلت الخيانة كانت سارة جالسة على المتكإ والى جانبها شقيقها توماس وحيالها جاريتها تقتبل الامر

فقالت لها سارة — اياك ان تغفلي اعلامي بخبر قدوم رودلف

فاحنت الجارية رأسها علامة الخضوع وانصرفت فالتفتت عندئذٍ سارة الى شقيقها وقالت لهُ — لا يبرح ذكر ذاك اليوم من خاطرك . . .

— آه كفى تزيدين نفسك اوهامًا فالقيها عنكِ

— لا سبيل يا اخي الى السلو

— لا يتعذر على الانسان ان يلهو بنفسهِ متى تقسمتها الاشجان

— اكاد افقد رشدي من دنو رودلف اليَّ

— هوّني عليك

— آه ما أشد عجبهُ اذا علم بان ابنتهُ لم تزل حية وانها الآن نزيلة سجن سان لازار

— ما بالك اليوم قد تزيبت بزي غريب

- هذا هو الزيّ الذي قابلت فيهِ رودلف المرة الاولى في ردهة جيرلوستين

- ربما تزيده الذكرى غيظًا

- انهُ رفيق بي ولا باس اذا تذكر تلك الليالي التي مرّت بنا وقد كان فيها بدر انسنا كاملاً

- أ نسيت وقتًا خنض من قدرك فيهِ والده

- آه وقد يؤيد رحمتهُ بي اجابة دعوتي

- متى وعدك بالزيارة

- قريبًا

- لقد اخطأت المرءى بكتابك لهُ عن وجود الابنة

- كلاّ بل اصبت لانهُ يسر جدًّا بهذه البشرى ولي منها جدوى عظيمة

وبينا هما في سلب وايجاب سمع حركة عربة في فناء القصر فاطل توماس من النافذة ليراها فاذا هي عربة الامير فقال

- لقد أتى رودلف

- بالله ارجوك ان تعتزل عني الان فتدعني اخلو بنفسي برهة وها ان ضربان قلبي قد اشتدّ

- خفضي عليكِ ربما يكون الك بهذه الزيارة عود الامال

- اه اني افارق الحيوة يوم البس التاج

فما كاد توماس ينفصل عنها حتى مثل امامها رودلف بصفة رسمية ولما رآها على المتكإِ اندهش من مرآها فارتد الى الوراء مذعورًا . اما هي فرفعت اليهِ رأسها وقامت الى لقياه قائلة

- لقد حسبتني مائتة فاتيت الى وداعي

- هذا ما رووه لي فكان كذبًا وبهتانًا

- ان العناية الالهية ساقتك اليّ بعد بعاد استمر عشر سنوات ليتسنى لي ان

البس التاج قبل ان يدركني الاجل

– هات ما عندك

– اني اشكر الله الذي امدّني بالعمر فوفقني الى الاجتماع بك مرّة اخرى لاودعك سرًا كنت اخاف ان انقلهُ في قلبي فادفنهُ معي في اللحد

– ما هذا السر

– هو سرّ اخاف اذا بادهتك بكشفهِ ان ازعجك

– اكشفيهِ حالاً

– ان ولدنا لم تزل حية

– فتأثر فؤاد رودلف من هذا الكلام فردد مسرورًا . أولدنا . ما تقولين . لم تزل حية

– نعم وغدًا تراها

– لا اصدق ذلك

– هذا جرجي يشهد لي

– هذا خداع منكِ

– كان قد خطر لي قبلاً ان اموه عليك فابى الله الاّ ان انبك الحق فضربني هذه الضربة جزاء مكري . وعقيب ذلك بلغني بشرى حياة الابنة

– يا للاتفاق وغرائبهُ

– أتعرف من هي ولدنا

– اتسخرين مني

– كلا دونك هذا الصندوق افتحهُ تجد رسمها والى جانبهِ ورقة كتبتها بدمي تاكيدًا لمقالي

– نقشتها بدمك

– نعم

– فالمرأة التي طعنتني هي التي بشرتني بحياتها

— من اين اتصل الخبر
— كانت كفيلتها منذ حداثتها
— صرحي باسمها
فاندهشت سارة للوقت من الحاح رودلف فقالت — اسمها جوفيس
— اين هي الابنة الآن
— مهلاً ساعلمك بها بعد اتمام الحديث
— ان الولد هي منك ادني من قاب قوسين
— كيف كان ذالك
— انني انا التي جنيت عليها فعرضتها للخطف من مزرعة بوكوفال ولكن قصر كل ساعد عن ساعد الله فانهُ وقاها كل ضرّ والقاها سالمة في سجن سان لازار
— انها خرجت منهُ وانت كنت سبب هلاكها
— ماذا اصابها ما نابها
— انها غرقت
فنهضت سارة وهي تصيح اسفاه أوَهل قضت نحبها
— أغنية هي والدك ...
— نعم حسب قول البومة هني عليها لقد ماتت ظلمًا
فارتجف رودلف عند هذا الكلام وقال
— أهي التي كانت في مزرعة بوكوفال
— نعم نعم هي ذاتها
— فسكني روعك واشرحي لي السبب الذي حملك على ما فعلتِ
فلبثت سارة برهة صامتة لا تنبس بكلمة لكثرة ما كان يتنازع ذهنها من الخواطر المزعجة الى ان جمعت اخيرًا شتات الحقيقة فقالت
عقيب ان حدث بيننا ما اوجب الانفصال في جيرلوستين اخذت الابنة فاخفيتها حذرًا من ان تطالبني بها الى ان بلغت الرابعة من عمرها دفعتها الى

مدام سيروفيم قيمة المسجل فراند و بالاتفاق مع بطرس تورنمين النازل الآن في سجن روشفور اذاعوا خبر موت الابنة حيلةً ليستزيدوني مالاً

— اني في ريب مما اوضحت والخبر مكذوب فيهِ

— ان السفط اقفل على اوراق شتى تثبت قولي

فما اتمت سارة سرد قصتها حتى وقعت مغشيًا عليها فاغتنم رودلف هذه الفرصة فتقدم الى الطاولة واخذ يقلب النظر في الاوراق التي انتزعها من السفط الى ان وقع نظرهُ على رسالة كانت قد بعثت بها القيمة مدام سيروفيم الى سارة تخبرها فيها ان الابنة لا تزال حزينة لبعد امها وهي تطلب ابدًا مقابلتها

فلما انتهى رودلف من قراءة هذه العبارة عرتهُ هزّة شديدة من الاضطراب والقلق فارتمى على الكرسي يصعد الزفرات ويذرف العبرات

اما غنية فلم تزل في بيت الدكتور كريفون غير قادرة على مراسلة مدام جورج

الفصل السادس والعشرون

الخصام

بينا كان رودلف يبكي كانت سارة قد ثابت اليها روحها فجلست على المتكأ وهي ترتجف من شدة الالم والوجل • فتقدم اليها رودلف قائلاً

— لقد لقيت الآن جزاءي في موت ولدي هكذا يعاقب الله من يتمرد

على والديه فهذا جزاء ما فعلت مع ابي فاسمعي لي

– بالله اني عالمت بما تريد قصة علي فاعدل عن ذكرى ذاك اليوم ...

– لا بد ان تعلمي بما كان ويكون لانك انت كنت السبب

– رودلف لا تظلمني بل كن شفوقًا رحومًا

– لا شفقة على من لا يعرف الشفقة وما مس قط فؤاده حنان كيف ارفق بك انت التي لم ترفقي بولدك فدفعته الى القساة والبغاة بل عرضته بيدك للموت بل انت قتلته

– رودلف بالله رودلف قد جرت بحكمك حتى عدلتني بوحوش الفلاة وكواسر الجو

– آه ألا تذكرين يوم الوداع الاخير منذ ١٧ سنة

– نعم ولكن اريد نسيانه

– لا يقتضي ان تعلمي بانني اثرتك على بنات الامراء فجعلتك لي زوجة على رغم امر والدي ونهيه فدفعت عنك ضرباته الشديدة وصديقي مورفي شاهد بذلك .

– كنت اجهل كل ذلك

– كفى ما نزل بي عقابًا وكفارة عن ذنوبي . فضلاً عن كل هذا ابن بولودري الذي كان السبب في اقتراننا اودع السجن فانكر صحة الزواج التي بيننا وقد أيد قوله بكتاب بعث به الى اخيك وفيه توقيعه

– آه ما هذا الافتراء وهل تصدق يا رودلف قوله

– نعم وقد كان من عزمك الافتراء على والدي

– فاقضِ اذن عليّ بما تشاء

– هو الله يقضي بيننا . فاعلمي انه لما بلغ كتابك الى والدي قرأته فجثوت امامه طالبًا منه العفو والسماح ففعل ثم تركت البلاد قاصدًا هذه الديار فاتخذت باريس محط رحالي ونقطة اعمالي فتجردت لمساعدة البائسين ونهضة المساكين

— هل لديك من الاخبار غير ما اوردت

— وعقيب ان رويت النفس من التجول في اطراف فرنسا قصدت جرمانيا ومنها بعثت بطالب الابنة فنعيتها لي

— لم اخطئ بالجواب لان الاوراق التي اطلعت عليها تهدني هذا الخبر

— لكن انا اخبرك بما قاست الابنة من العقابات في دور حياتها

— ربي كن لي معينًا

— اتذكرين ما كان تلك الليلة في نزل الارنب الابيض ليلة جديت في اثري مع اخيكِ توماس

— نعم

— أما رأيتِ في الحانة تلك الفتاة البديعة الجمال التي تدعى (فليردي ماري) وقد احدق اللصوص بها من كل جانب

— لا لا دعني من هذه الخواطر

— أعرفتها

— بالله ارحمني

— هي هي ابنتي وربيئة عهد جيرلوستين وهي التي دعاني الله بصوتٍ من العلاء الى نجاتها حين الشدة

فحجبت اذ ذاك سارة وجهها بكفيها وقالت — ساقضي معذبة في الدنيا والاخرى

فاعترضها رودلف بقوله

— لا بدّ ان تعلمي بما قاست الابنة من العذاب فانها كانت عرضة لحر النهار وظلام الليل تبيت على المرداء تحت الجرداء . والى جانبها تلك البومة تشبع السوط من جلدها والكف من خدها الى ان قلعت اخيرًا اسنانها

— يا لهُ من عذابٍ أليمٍ

— لم ينتهِ بعد شرّه . فلما تمكنت المسكينة من الفرار التقى بها العس فألقي

القبض عليها شأنهُ مع المجرمين فاودعها السجن فقضت فيهِ نحو ٨ سنوات الى ان فرّج عنها فراحت تسأل الناس القوت وهي تطوف بين انياب الفاقة ومخالب الموت فما لبثت تفر من شدة الى شدة الى ان ساقها القدر الجائر الى منزل جاك فرّاند فكانت فريستهُ

فارتعدت فرائص سارة عند ذكر هذا الاسم — فصاحت رحماك لا تكمل لقد وهى جلدي

— لكن لا بد ان انتقم لها من فراند فاذيقهُ ما اذاقها

ثم توجه الامير نحو الباب فاستوقفتهُ سارة صارخة

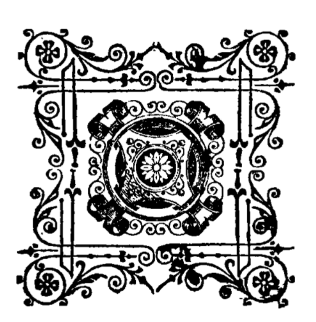
— الى اين المسير . بالله لا تغادرني لوحدي اني اموت لا محالة

— دعيني يكفيك ذكر ولدك الفقيد حتى الممات

فارتمت سارة عند اقدامهِ وهتفت — بالله لا تكن والزمان عونًا عليَّ

— لا بد لي من الخروج على فرّاند . عبثًا تحاولين توقيفي دعيني اذهب للحال .

فخرج رودلف عجلاً الى فناء القصر فركب العربة ينهب الطرق الى وكالة فراند في شارع سانتيه عدد ٤١



الفصل السابع والعشرون

جزاء الباغي

ان الليلة التي قصد فيها رودلف وكالة فراند كانت شديدة الحلك كثيرة الامطار والزوابع . وكان فراند اثناها قد اصيب بحمى القتة على فراشه والزمت بولودري ان يقيم عنده لانهُ كان ينتظر وفاة المسجل وقتاً بعد اخر

و بينا كان بولودري يتمشى في صحن الغرفة قصفت زوبعة شديدة فالقت مدخنة المستوقد الى الارض فانتبه جاك من رقاده مذعورًا وصاح ما هذا الاضطراب فاجابهُ بولودري — لا تخف امرًا

— ءأنتَ هنا يا بولودري

— نعم اني الى جانبك

واذ كان فراند لم يزل تحت وطأة الحمى اخذ يهذو قائلاً

— لالا اني اسمع صوت سيسلي تناديني اليها وتدعوني حبيبها

— خلي عنك ذكر هذه الشقية التي كانت سبب علتك بل تكون علة موتك

فصاح فراند — . . . آه لا لا ابدًا . . .

— ما هذا الهيام

— آه اني اراها تتقدم اليّ ها قد وقفت حيالي

— لا شيء يتقدم

– بلى بلى ها هي امامي

– مسكينة سيسلي قد قضت نحبها

– لالا وقاها الله انها لم تزل في الحياة لتكمل عذابي

– قلت لك يا فراند ان تنزع عنك هذه الافكار فانها تعجل اجلك

ولم يكن الآ برهة حتى صاح فراند باعلى صوتهِ اطفئ القنديل فانهُ يضعف بصري

– لا اثر للنور فانهُ ضعيف

– لقد افهمتني انهُ يؤذي بي

– ما بالك يا بولودري تهذو فلا مصباح ولا نور

– ان نارًا مستعرة تلتهب امامي

– فعند ذلك اطفأ بولودري المصباح فاظلمت الغرفة وفي ذاك الحين سمع صوت عربة وقفت امام باب الشارع فاشغلهُ سؤال فراند عن الانتباه الى ما سمعهُ لانهُ كان يلح عليهِ ان يدعه يخرج الى غرفة سيسلي فيمنعهُ بولودري ويسكن اضطرابهُ قائلاً لهُ – ان سيسلي ليست في الغرفة التي تريدها فما بالك الليلة فاقد الرشد

– كلاّ كلاّ انني اعلم يقينًا انها ليست في الغرفة بل انا اقصدها حبًا بالذكرى فارى موضعها فيرتاح قلبي ويسكن بالي

– البث مكانك فها انا اسمع صوت سار خارجًا

– انت تريد خداعي

– ان لم تصدق فاسمع

– هذا صوت سيسلي ربما تدعوني فدعني اخرج اليها

فتقدم فراند الى الباب فصاح بولودري – ويلاه ما اصابني بالله المدد لله انجدوني وكان قد طعنهُ بحربة سيسلي المسمومة فكانت القاضية

فلما سمع رودلف صوت المستغيث اسرع نحوهُ مع رفقائهِ . فكان فراند

قد فتح الباب ووقف بالعتبة والخنجر في يده فتلقاه رودلف فللحال سقط فراند على الارض دون حراك فامر رودلف ان يحمل الى غرفةٍ اخرى غير التي كان فيها بولودري . ولم يكن الاّ برهة حتى عادت سكينتهُ فتذكر كلام سيسلي فصاح

آه اني قدمت اليكِ يا حبيبتي لكن بايدٍ تخضبت بالدم . . . وامامي جثة ابنة مورل . وشقيق الارملة . (مدام فارمونت) وغنية ومدام سيروفيم آه كل هؤلاء لا يتمثلون امامي لكن لا اخاف احدًا . وها انا ذاهب الى سيسلي واخذ يدب على الارض ويسرح شأن الصلّ الى ان اعيتهُ الحركة فسقط وقبل سقوطهِ فاه بهذه الالفاظ

الوداع يا سيسلي الوداع لو سمحتِ لي بالرضى قبل الفراق لكنتِ شفيت النفس من حرّ الاحتراق فسلمتني للمنية مرتاحًا . واخذتِ مالي مباحًا

الفصل الثامن والعشرون

المستشفى

يذكر القارئ ان ماري التي انقذتها لالوف من الغرق في نهر السين نزلت في دار الكونت سان رامي حيث كان يمرضها الطبيب كريفون

ولا نرى من حاجة الى وصف المستشفى ومن يأوي اليهِ فلنقتصر من الكلام على ذكر ما جرى فيهِ اثناء وقوفنا في احدى غرفهِ وقد كاد ينصل خضابه

الليل . فاننا سمعنا وقع اقدام سارٍ يتجه جهة الغرفة وما زال يسري الى ان دخل وكان عابدة متشحة بوشاح ابيض وبيدها شمعة مضاءة تتقدم الكاهن فوقفا الى جانب سرير احد المرضى الذين اشفوا فانتبه المرضى من رقادهم وتطلعوا كلهم الى ما يجري بينهم وكان في جملة نزلاء تلك الغرفة ثلاثة اشخاص قد عرفناهم من حديثهم وهم . كلاره فارمونت . لورين . جوليات . دوبارت وقد سمعا لورين تقول همساً سقياً لها فقد نجت من هموم هذه الدنيا

فاجابتها جوليات وانا اهنئها ايضاً اذ سارت دون عقب

– فكم رزقت من البنين

– ثلاثة وانت

– ابنة لا غير وقد قضت نحبها منذ امد يسير

– بما تعملين

– كنت اشتغل في الغسيل ومن جراء الحزن الذي استولى عليَّ اثر وفاة ولدي لازمتني الحمى فانقطعت عن العمل وتعلقت باكف المحسنين فاخذت احدى الفاضلات بيدي وبذلت نحوي ميسورها

– ما اكثر المحسنين وقد صادفت ما تصادفين اثناء قيامي في سان لازار فان احدى الفتيات الكريمات لما علمت بما بي من الاملاق اخذت بناصري فاجرت عليَّ من فضلها ماسدَّ رمقي وقد اودعتني اسمها (ريكولت) وعاهدتني على ان اخابرها عند مسيس الحاجة

فصاحت لورين عجباً – اندعى ريكولت

– نعم فما الذي قضى بالعجب هل الك عهد بها من قبل

– كلاَّ انما سمعنا هذا الاسم من فم التي كانت قد كفلت حياتي فقالت لي ان لها صديقة تدعى بهذا الاسم

– ما اسم كفيلتك

– غنية . ماري

— هل ما زلت تترددين اليها

— قد مرّ بي زمن طويل ولم أرها فلا ريب انها ملك تقمص جسم انسان

ثم اجهشت اورين للبكاء فاستطردت جوليات حديثها فقالت

— صبرًا يا لورين فمتى كان عهد مرضك

— منذ ثلاثة اشهر وما يتبين لي ان الحياة وعرة لديَّ

— لا باس عليكِ فان من كان بعمرك كان في امنٍ من الخطر الشديد

— لا يدفع العمر الخطر فان الاميرة التي قضت الان هي من دوني عمرًا

— أَوَهل التي ماتت الان اميرة

— نعم وقبل ان تجود بروحها بعثت بطلب احدانسبائها لينقل جثتها من هنا

— هل قدم اليها احد

— كلاَّ

— يا ويل من كان جاف القلب عديم الشفقة

— انها أحبت كثيرًا عليهِ بالقدوم فقضت دون ان تنال سؤلها ،

— عجباه وما حاجتها اليهِ

— انها كانت تخاف ان يزرؤوا بجثتها فينتهكوها بعد وفاتها

— فعليهِ اني اطلب اليك حاجة كلية

— ما هي

— عديني بانجازها

— لك ما تأمرين

— اني ساخلف لك مالاً اضعهُ تحت وسادتي حتى اذا آذنت ساعة سفري كفلت تجهيزي

— خلي عنك هذه الوساوس

— هذا كاس لابدَّ ان يشربها الجميع من رفيع ووضيع

— انك ذكرتني عند ذكر الرفيع بفتاة جيء بها امس الى هنا ولم تبلغ بعد السادسة عشرة من عمرها وما تبين لي انها في حال خطرة جدًا فهل هي من سراة القوم

— انها بارونة

— تبًا للزمان ما اشد سهامه. وما اقصى مرامه . ترى كم نقاسي هذه من حدثانه

— هل صحبتها امها

— لالا فان الام مريضة ايضًا

— واين مقرّ الابنة

— حيالنا

— هل بلغت السادسة عشرة

— بلغتها او تكاد

— اسفاه انها من عمر ولدي كاترين

— اين خلفت اولادك

— لا ادري ما فعل الدهر بهم

— واين مقر رحالك

— آه لما رأيت منك حبًا يحاكي حب الشقيقة لشقيقتها كان لا بدّ ان اكشف لك امري

— قولي ما بدا لك

— ان رجلي تقلبت احواله وتبدلت اطوارهُ فعدل عن النشاط والاستقامة الى الشر فعاش سفيهًا

— امالكِ من نسيب

— لي شقيق ليس غير

— اين هو الآن

– نزيل السجن وقد تصدّق عليّ منذ ثلاثة ايام بثلاثة فرنكات

– وزوجك

– بالله لا تذكريني بعهد العذاب فانهُ بعد ان تغيب عني ثلاثة اشهر قاسيت فيها امرّ الاوجاع عاد وسلبني ما ملكت يدي من عقار ومنقول ولم يكتف بما فعل حتى خطف ولدي كاترين فخطر لي ان اعترض عليهِ فتهددني بالاعدام فوددت لو قتلت فداء ولدي

– ألم ترفعي الامر الى الحكومة

– فعلت ذلك ولكن لم اجنِ منهُ الا العذاب اذ ثارت في نفسهِ الشكوى روح الحقد والبغضاء

– اين خلفت اولادك حين قدمت الى هنا

– على اكف المحسنين

– ولِمَ لم تخبري ريكولت بما جرى لكِ

– لنكد طالعي كانت قد شخصت من مدة الى مزرعة بوكوفال حيث يحتفل بزواجها ولما بلغت من الحديث الى هذا الحد كان الفجر قد لاح وقرع جرس المستشفى ينذر بقدوم الطبيب



الفصل التاسع والعشرون

كلارة فارمونت

ان وقوف الطبيب والكونت سان رامي في المستشفى كان داعيًا للغط فنظر الكونت الى رفيقهِ فساله

ـ هل شاهدت اليوم ماري

ـ لا ولكن لالوف اخبرتني بانها على اتم راحة وقد طلبت اليَّ ان اسمح لها بالكتابة امَّا انا فاسالك ما عندك من العلم بشان مدام فارموئت ووالدها

ـ ان مدام دي هرفيل وعدتني باخبار هذه العائلة

ـ هل زرتها

ـ كنت لديها منذ ثلاثة ايام واليوم قد ارسلتها بهذا الشان

وكان الطبيب يتقدم الى غرفة المرضى وفي اثره الطلبة حتى اذا وصلوا الى السرير الاول تقدمت العابدة الزاهدة الى الطبيب وقالت لهُ ـ انها قضت نحبها الساعة الرابعة

ـ عجباه وهل جدَّ عليها امرٌ عنيف عيادتي لها المرة الاخيرة

ـ كلاَّ

ـ فالتفت حينئذٍ الطبيب الى احد الطلبة وكان اسمهُ دنوير وقال لهُ عليك بفحص الجثة لنعلم بالسبب الذي قضى عليها فتقدم الطالب الى السرير فرفع الكلة عن الجثة وحفر بالمبضع هذين الحرفين : . ل د (لا يجوز دفنها

قبل ان نفحص جثتها)

فهمست حينئذٍ جوليات باذن حنة قائلة لها - من هم الذين يتبعون الطبيب

- هم طلبة

- هل يعاينون معهُ

- نعم

- آه اني اخجل ان ابوح لهم بسري

- لا حيلة لنا بكشف الامر فانه قد اصابني ما اصابك واذ رأيت ان لا بدَّ من التسليم فاذعنت

صه فقد بلغ الطبيب سرير الابنة التي قلت الكِ انها من الكرام

ولما انتهى الطبيب من عيادته الى سرير جوليات دوبارت تدثرت حتى رأسها اما هو فرفع الدثار وسالها

- ما اسمك ايتها المرأة

- فاجابته المريضة جوليات دوبارت

- كم عمرك

- زهاء السادسة والثلاثين

- ممن انتِ

- من باريس

- ما صنعتكِ

- الخياطة

- هل انتِ ذات بعل

فتنهدت جوليات عند هذا السؤال وقالت - نعم

- متى كان عهد زواجك

- منذ ثمانية عشرة سنة

- هل لك اولاد

— ثلاثة

فاخرج الطبيب ورقة من جيبهِ وعلق عليها بعض الخواطر ثم استانف السؤال فقال

— ما هو سبب اعتلالك

— ليس الا الغم والكدر على اثر نزاع حدث بيني وبين زوجي فانهُ طلبني بكري بواسطة كهلة فانية

— فقاطعها الطبيب الحديث قائلاً لها

— آكشفي عن لسانك

فتعجبت جوليات من قسوة الطبيب وقالت لهُ

— بالله اسالك ان تعني بي عناية زائدة حتى ابلغ الشفآء قريباً فاعود الى اولادي الذين خلفتهم عند الجيران

ففتح الطبيب فمها وأخذ ينظر في حلقومها فاحصاً اللوزتين وما جاورها ثم قال مخاطباً الطلبة — شاهدوا معي كيف ان لون الوجه مكمد واعتبروا ضعف دورة الدم في الاعضاء. ثم رفع الغطآء فارتاعت جوليات تنكر ذلك فاعترضها الطبيب قائلاً

— اذا ابيتِ الاذعان قضيت عليك بالابعاد من المستشفى. فحولت اذ ذاك جوليات وجهها تاركة الطبيب ينجز فحصهُ ولما فرغ منها عدل الى جارتها كلارة فارمونت فريسة جاك فرّاند. فكانت هذه المريضة غائصة في بحور الهواجس يتحلب من جبينها العرق البارد فيسقي ورد محياها الذابل ولشدة ما كان يشغلها من الوساوس لم تشعر بوصول الطبيب والطلبة اليها فتاملها كريفون وفحصها فصاحت — اوّاه أما من رحمة لعليلة اذابها حر الحمى

فطرق هذا الصوت سمع الكونت سان رامي الذي كان جالساً في ناحيةٍ من الردهة فنهض يتنحى ناحيته مذعوراً فتقدم الى الطبيب وقال له

— رحماك ايها الصديق فان هذه الابنة هي ولدي وقد اسمعتني الرحمة

صوتها حين الشدة . فارجوك ان تبذل ميسورك دون مداواتها الى ان يتيسر لي اخراجها من هنا

فانذهل الطبيب من هذا الملتقى العجيب فقال للكونت

— دعني ايها الكونت اداويها على ما رأيت بالاتفاق مع الطلبة وانا زعيم لك بشفائها

وفي تلك الاثناء قرع جرس المستشفى ينبئ بقدوم زائر وسمع اثرهُ صوت عربة تجري في فنائهِ فنهض الرئيس لاستقبالهِ فاذا هي امرأة قد تردت بثوب الحداد . وما استقرَّ بها المقام حتى ابتدرت الرئيس بهذا الخطاب

اني انا مدام دي هرفيل وقد جئت لعيادة كلاره فارمونت

فاجاب الرئيس الطلب وتقدمها يريد ان يشيعها الى الردهة حيث تنزل المريضة الى ان وقف بسريرها وقد احاط به الطبيب والكونت سان رامي والطلبة ولما كان الزحام قد حال دون وصول المركيزة الى السرير وقفت برهة تنتظر تشتيته فسمعت ما دار بين الكونت والطبيب من الحديث فلما رآها الكونت فرق الزحام واحتفى بقدوم المركيزة قائلاً لها — قد ارسلك الله دواء المصابين ثم نظر الى الطبيب فقال له

— ان من عزمي ان انقل الابنة من المستشفى

— افعل ما تشاء فاني لديك لا افصل عنها حتى تبلغ حد الابلال

— هل تامل بالشفاء قريبًا

— بعون الله

— فعليهِ امكث هنا الى ان تفيق

— سمعًا وطاعة لكن عليَّ ان اتم عيادتي

الفصل الثلاثون

ماري الملقبة بظبية الرند

قبل ان يفصل الطبيب والطلبة عن الكونت والمركيزة التي جلست الى جانب كلاره اقترح كريفون على المركيزة هذه الاسئلة فقال لها

– اين والدة هذه المسكينة

– قد قيضت نحبها صباح اليوم

– اين مقرها

– في شارع براسري

– يا لشقاء تلك الام ويا لتعاسة ولدها

– لو كنت تعلم بحب والدتها لها وما اسمعتها ساعة حينها من الكلام الذي يفتت الجماد ويصهر الاكباد

وبعد ان وقف على هذا الاثر تخلف عنها فتقدمت العابدة وجست نبض كلاره وفحصت ضربان قلبها فقالت للمركيزة كوني براحة فان الفتاة ستفيق قريباً

ولما خلا للكونت وجه مدام دي هرفيل قال لها

– انا يا سيدتي الكونت سان رامي الذي خاطبتك بشان هذه العائلة فزعيمها من اقرب الناس اليَّ وقد كنت مقيماً من قبل في انجه فغادرتها طمعاً بالوقوف على اثر هذه العائلة فاشكر الله الذي وفقني الى الاجتماع بك

والاستفادة منكِ ما رغبت بهِ عنها

— أتجهل شقاء هذه العائلة

— كلاّ فاني قد عرفت ما نالها من شرّ جاك فرّاند

— نعم هو الذي قوض اركانها و ثل راحتها اما انا فقد آليت على نفسي أن اعني بشأنها واهتم بامر هذه الابنة

— جزاكِ الله خيرًا لقد خففت الآن بعض اشجاني بما اعلمتني بهِ ولا ريب ان الام قد ماتت وهي في راحة من امر ولدها اذ كنت كفيلتها

— واعلم يا اخي انها لا تحرم ارثها

— وهل لها ارث تطمع بهِ . ومن ابن هذه النعمة

— ان فراند سيجبر على اداء ما سلبهُ من مال الايتام والارامل بحيلةٍ لم يدرك سرها احد

— وابن المال في الحال

— قد اودع يد امين عهد اليهِ بتقديمهِ الى اصحابهِ عمومًا

— لو يحكم عليهِ بالاعدام جزاء ما جنى على اهلهِ لاسيما على مدام فارمونت

— اه انهُ قد ارتكب جرائم اعظم من هذه

— ما عساها ان تكون

— انه هو الذي كان سببًا لموت شقيق مدام فارمونت ومنذ مدة أمات ولدًا غرقًا

فارتعدت فرائص الكونت فسألها

— ابن غرق الولد

— في نهر السين بجوار جزيرة مارسيال

فصاح عندئذٍ سان رامي — هي تلك الابنة التي التقيت بها . نعم هي بعينها

— فما اسمها

— ماري هل تعرفينها من قبل

— كيف لا وقد اخذ حبها من فؤادي كل ماخذ . أآنت على يقين من كلامك

— نعم وقد عنيت بامرها مع الطبيب كريفون

— متى كان عهد ذلك

— يوم انقذت من النهر

— هل نجت من الغرق

— نعم وهي الآن في امن من كل شر

— من الذي انقذها

— فتاة

فلما سمعت المركيزة الخبر اخذتها الرعدة وعرتها الدهشة فنبأ لها الكونت وهو في حيرة عظيمة من ارتباكها وتخلف حالها — ماذا اعتراك وما الذي ألم بك

— لم يدهمني شيء غير اني لا اركن الى هذا الاثر فالرجا ان تزيدني عن الابنة تحقيقًا

— اكتملت فيها صورة الحسن

— هل في عينيها زرقة

— نعم وفرعها الاصهب الطويل مسترسل على كتفها

— هل كان يشيعها عجوز على طريق النهر

— نعم هكذا قالت لنا البارحة

فهتفت اذ ذاك كليانس بصوت شق قلبها من الفرح بشراك يا فؤادي لقد نلت مناك وفزت بما كنت تتوقعه · بالله افدني اين حلت

— هي في دار الطبيب كريفون

— هل زايلها الخطر

— نعم وقد اجاز لها اليوم للكتابة الى ولينها

— آه انا الذي اضمن لها الاجتماع بولينها فما عساه ان يكون فرحها

اذا نظرت عيناها الى من احبتها حتى المات

— والمرأة التي انقذتها لم تزل تجالسها واسمها لالوف

— اني اعرف هذه الفاضلة

ثم خلت كليمانس بنفسها فناجتها بهذا الكلام . ما اشد سرورك يارودلف برأى ماري نزهة خاطرك وغرض امانيك . ثم حوّلت وجهها الى العابدة التي تقدمت الى كلارا فارمونت اتبرّد غليلها فسألتها — ما شأنها الآن

— لم تزل ضعيفة القوى

— لا باس فاني انتظر ريثما تمتالك تمام الراحة لكن اخبريني ايتها الفاضلة ألا يوجد بين مرضاك من يستلزم الاحسان ويستدعي الشفقة

— بلى فان لدينا امرأةً مسكينة تدعى جوليات دوبارت قد غادرت اولادها عرضة للجوع والفاقة

— ارجوك اذن ان تدليني على مكانها

فتقدمت العابدة وكليمانس تتبعها الى ان وقفت بالسرير وكانت المرأة في شبات من شدة الالم فرفعت المركيزة الستار وقالت مخاطبة العليلة

— قري عينًا وطيبي نفسًا ايتها الام الصالحة فها انا جئت اليك بما يوفر لديك الخير والغبطة فخال لجوليات ان ما طرق اذنها حديث احلام . ففتحت عينيها واحدقت الى المركيزة فاجابتها لوربن قائلة — لا ريب ان الله لا يخيب رجاء من يركن اليه ويعول في امره عليه فقد ارسلك رجاء لمن ادركها اليأس ولذّ لها القنوط

ثم كررت المركيزة الخطاب وقد اضافت اليه هذه الكلمات . سرّي وافرحي ايتها الام فانك اليوم تقابلين اولادك وتنعمين معهم

فاهتزت جوليات عند سماعها هذا الكلام فقالت — من المتكلم بالرحمة والسلام من هذا الملك الذي عادني بعد اليأس . هل لي ان ارى اولادي قبل المات

— صدقي كلامي وثقي بي فان هذه شيمتي وشيمة صديقي

فاجابتها جولبات — سقيًا لك واصديقك فلا تلوميني ياسيدتي اذا كنت اعجب من كلامك وارتاب بهِ لان الدهر لم يسمعني مثاله قبل هذه المرة

فايدت مورين قولها بقولها — أرأيت كيف ان الله ارسل الك من يحاكي ريكولات وغنيه كرمًا وجودًا

فلما سمعت مدام دي هرفيل هذين الاسمين سالتها مدهوشة

— هل لك معرفة قديمة بتينك الصبيتين

— نعم يا سيدتي

— كيف تمّ لكِ ذلك

— ان غنية اصطنعت عندي معروفًا لا انساه ابدًا فانها انقذتني من سرداب كنت اقاسي فيهِ وولدي البرد والجوع وانزلتني في حجرة مفروشة حيث تداويت من كل ما كان بي

— أليس لك حاجة عندي اقضيها

— اخشى اذا بحت لكِ بها ان اكلفك عسرًا

— لا تخشي امرًا

— ارجوك ان تطلبي الى صاحب المستشفى ان لا يشرح جسدي اذا قضيت بل ان يواريهِ في اللحد

— ما لكِ وهذه الافكار فانتِ ما زلت غضة الشباب في زهرة العمر فلمَ الخوف والحديث فيما لا موضع له ومع ذلك فاني اعدك بانجاز مرامك

— هات يا مولاتي يدك فاقبلها شكرًا عن جميل احسانك

فبسطت كليمانس يدها فقبلتها لورين هاتفة لقد نلت السعادة وكل المنى فاني اموت الآن براحة وهناء . ثم استعلمت المركيزة من العابدة حال لورين فاجابتها انها في خطر عظيم وقريبًا تفاجئها المنون

وعقيب ذلك نهضت المركيزة والكونت سان رامي ومعهما كلارة فغادروا

المستشفى فنزلت كلارة في دار المركيزة الى حين الابلال وكانت قد كتمت عنها خبر وفاة والدتها ثم عاجت بدار الطبيب لتاخذ ماري فتقدمها الى رودلف ثم استأجرت محلاً مفروشاً في كردي سل فاحلت فيهِ اولاد جوليات وامرت طبيبها الخاص ان يعني بها

الفصل الحادي والثلاثون

عود الامل

ففي صبيحة يوم من ايام الربيع وقد اكتست الارض وشاحاً سندسياً اخذت ماري تتمشى في حديقة الطبيب كريفون مستندة الى ساعد لالوف مسرحة النظر في بدائع تلك الخضراء وهي تقول ما اجمل هذه الرياض بحلاها

— فاجابتها لالوف ان جمالها يحاكي جمالك

— اشكر الله يا اختي على شفائي وانقاذي من تلك الكهلة واطلب اليو ان يمن عليَّ بلقاء الكونت سان رامي فاعلم منهُ ما كان من جواب الطبيب عن سوالي بالكتابة الى جورج والحبيب رودلف . لاني ما زلت اخاف ان يحسبوا موتي حقيقة استناداً الى الاشاعة التي ارجفت بها عائلة مارسيال . اه ليتهُ يعجل بالقدوم فيشفي نفسي مما تجد لكن بالله اخبريني ما السبب الذي من اجلهِ يرومون قتلي ترى هل حملوا على ذلك بطريق الحقد والسعاية

— لاشك وقد صرحت بذلك والدة مارسيال الى ولدي في السجن

– هل ما زال يتردد اليها

– نعم ولكن سيصدر الحكم على العائلة بالهلاك

– رباه ما اشد هذا الحكم وما اوجعهُ فهل يقضي على العائلة كلها

– الاَّ على نقولا فانهُ قد ازمع الفرار اثر رفيقهِ السكلتون وقد بعث الى اخيهِ مارسيال يسالهُ النجدة عند مكو فوافاهُ اليها

– يا لعظم حنانهِ ورأفتهِ

– لكنني لا ادعهُ يفعل ومعاذ الاخلاص ان يساعد من عمل على قتلي وقد وطدنا النية على السفر من باريس فرارًا من الشده التي تضايق مارسيال

– بالله انظريني ريثما اقابل رودلف لافي بوعدي لك . فانا ملتزمة لك بحياتي

– انا لا اطالبك بشيءٍ وحسبي ان وفيت بما تطالبني بهِ الانسانية والصداقة شكرًا وثناء

ولم يكن الاَّ برهة حتى سمعت لاوف صوت عربة تجري على قرب منها فاسرعت السمع وما زال الصوت يدنو حتى رأت فتاة بديعة الجمال تتجه جهة الباب فصاحت هل عرفتها يا ماري

– نعم هي فتاة عرفتها في سان لازار حيث عطفت عليَّ ولا عطفة الام على ولدها

– هل كانت تعلم بمقرّك

– اني اجهل ذلك (وهي الفتاة التي كلفت بحب ذاك البطل رودلف الذي تقدم ذكرهُ في حديثنا)

وبينا هما يتحدثان تقدم فرنسوا واماندين مسرعين الى لاوف يعلنان لها خبر قدوم سيدها مع فتاة حسنة الجملة لا عهد لها بها من قبل

فقالت ماري – لقد صدق ظني فاصبت الغرض

ولم يكن برهة الاَّ وقد وفد الكونت سان رامي ومدام دي هرفيل التي عندما

رأت ماري اسرعت اليها بكل شوق ولهفة فعانقتها قائلة لها

— يا لسعادتي برآك بعد ان شقيت زمانًا بافني فيهِ من خبر ...

— ان سعادتي اعظم برأي من كانت لديَّ بمقام والدتي

— كم يسرُّ اصدقاؤكِ عند ما تبلغهم بشرى حياتك

فعندئذٍ اخذت ماري لالوف بيدها وقالت لئن كان من يهتم في شأني ويحرص على حياتي فعليهم بمكافأة هذه العائلة المحسنة التي انقذتني من شر الكهلة

— لاريب ان كلهم يعترفون لها بالفضل ويفون لديها بما لها من الجميل

فاحمرَّ وجه لالوف خجلاً ولبثت واقفة لا تنبس بكلمة فاعترضتها المركيزة قائلة — يضيق بنا الزمان الان على ايضاح ما في النفس من الشكر لاحسانك وقد غلب عليَّ الوجد فلا استطيع ان البث هنا طويلاً فاني احمل الان ماري الى احبابها وارجوك ايها الكونت ان تدفع الى السيدة لالوف المحسنة عنوان منزلي حتى اذا راق لديها وافتنا غدًا اليهِ وهناك نفيض بذكر ما لها علينا فودعت ماري لالوف وسارت مع المركيزة في العربة الى باريس ....

. . . .

. . . .

وكان وقتئذٍ رودلف جالسًا في غرفتهِ كئيبًا حزينًا تتقاطر الدموع من عينيهِ الى ان امضت جفنيهِ والى جانبهِ ولتر مور في ذاك الخليل الامين الذي بعث بطلبهِ اليهِ علهُ يخفف ما في فؤادهُ من الاشجان والكروب. وكان هذا الصديق يسليه ويقويهِ على احتمال ما بهِ قائلاً له

— مولاي عليك بالصبر فانهُ عدة الباسل ولا تطوح في الحزن فانهُ آفة الحياة

— اه ليت لي ذلك على فقد ولدي العزيزة. سحقًا لتلك الغادرة الماكرة التي جلبت الهم لقلبي باعدام موضوع حبي

آه لو ابقيتها عندي فلم ارسلها الى مدام جورج لكنت كفيت نفسي مؤنة

العذاب وألم المصاب انا هو السبب نعم انا الشقي التعيس الذي عرضتها للهلاك فلا بدّ ان اهجر باريس لان ليس لي طاقة على الاقامة فيها بعد فقد سر قلبي وهنائه

– صدقت يا مولاي وهذا خيرٌ لك حرصًا على صحتك

– فهيء اذن غدا متاع السفر ولا بدّ ان نعرج على مزرعة بوكوفال فادخل الى الغرفة التي اوت اليها ماري فاحمل منها ما تركت فيها من المتاع الى جرمانيا حيث من عزمي ان اودعهُ قصرًا اشيدهُ خصوصًا تخليدًا لذكرها

ولما أراد مورفي ان يغير عزم مولاه اعترضهُ قائلاً – هل اغفلت يا مولاي وعدك لفرنسوا جرمن بان تكون غدا شاهدًا على زواجه بريكولات

– نعم اني وعدت ولكن قد عرض لي دون انجاز الوعد امور ذات بال فاسألهُ ان يعفيني

– مولاي لا باس اذا اجبت دعوتهُ فعسى ان يكون لك في تلك الحفلة بعض السرور

– كلا لا اطلب الفرح ولا اقتضي المسرة فاذهب غدًا نائبًا عني واسال مدام جورج ان تسلمك كل ما خصّ بماري فتنفذهُ باسمي الى جرمانيا

– هل تذهب يا مولاي قبل مقابلة دي هرفيل

فعند ذكر هذا الاسم ارتعد رودلف كالمنتبه من غفلة وقال كتبت اليها امس انعي لها وفاة والدي

وفي اثناء ذلك قرع الباب فنهض مورفي اليهِ فوقف برهة بالباب يتبادل والطارق بعض الاشارات ثم عاد الى رودلف وقال

– أيأذن لي مولاي ان البي دعوة من يطلب مقابلتي في امور مهمة

– اذهب

فما كاد مورفي يلي ظهرهُ حتى صاح رودلف صيحة دوت منها ارجاء منزلهِ ثم حجب وجههُ بكفيهِ وقال اسفاه لقد دفنت زهرة حياتي وفقدت سارة فغدا

قلبي غرضاً لعاملي الحزن والفرح

فما اتم رودلف هذه الشكوى حتى عاوده مورفي مكمد الوجه كئيبًا . فقام اليهِ الغراندوق وسالهُ – مورفي ما بالك حزينًا وقد تبدّلت الوانك

– لا شيء يقلقني ان العجب اثر فيَّ فأحال لوني

– مما عجبت

– من مدام دي هرفيل

– هل اصابها باس

– كلاَّ انما هي في الردهة

– هل هي في منزلي الآن

– نعم وساوضح لسموكم سبب عجبي واندهالي

– بالله عجل بالايضاح

– لا اقوَ على ايضاح ما يتقسم نفسي من العجب والحيرة

– مورفي اتخفي عني امرًا

– حاشا يا سيدي

– اذن قل لي ما دهاك وما ألم بك

– انها اشارت اليَّ ان اكشف لسموكم رغبتها في مكاشفتكم سرًا في منزلها الخاص

– اني لم اتبين حتى الآن مرامي كلامك فقل لها ان تدخل

– لقد ابلغتك يا سيدي مرامها ونقلت اليك اشاراتها بالحرف الواحد وهذا الغموض عينهُ قد اقلقني · لكن قل لي مالي اراك منقبض الصدر حزينًا

فلم يستطع مورفي ان يستطرد الحديث لفرط ماعراهُ من الكآبة فاعياً فسقط على الكرسي مجهودًا

– مولاي أراك وقد فعل فيك الاضطراب فعلاً لم اشعر بهِ فما الداعي اليهِ

– لقد دنا يا مورفي اجلي فقل للمركيزة ان تدخل

فراج مورفي يلبي امر مولاه وما كان الاّ برهة حتى عاد اليهِ والمركيزة تتقدمهُ واذ كانت تجهل موضع ماري من رودلف كانت قد غادرتها في العربة ولما رأت رودلف حزيناً كاسف البال سالتهُ

— ما بالك ايها الغراندوق على حال يلين لها الجماد

— انني لم اعلم بموت ولدي ماري الاّ عقيب ان كتبت اليك المرة الاخيرة فصرخت كليانس وقد ذهلت عن أمرها — ماذا تقول . أماري ولدك . .

— نعم ولدي نعم انا والدها الشقي التعيس

فعندئذٍ جثت المركيزة على الارض تشكر الله الذي يسر لها ان تخدم الغراندوق خدمة صادقة خلوصة فوفقها الى ان تبشره بحياة ولده . ثم صاحت قائلة سرّي عنك واخلع رداء الاحزان فان ماري في العربة

فما كاد رودلف يسمع هذه الالفاظ حتى نهض للحال يريد الخروج فاعترضهُ مورفي قائلاً لهُ

— لا تفعل يا مولاي فان ظهورك عليها بداهة يوذيها

فعاد رودلف الى مكانهِ وقد صوَّب رأي مورفي فلبث ساكن الجنان ينتظر اللقيا بعد بكاها مدة من الزمان . ثم التفت الى المركيزة وقال لها

—لا استطيع ان اقوم بشكرك فاعذريني وتاكدي بانكِ قد قيدتِ لساني كما اسرت قلبي بجميلك واحسانك

— اعلم يا سيدي ان الناس للناس والدنيا مكافأة . فكما انك انقذت والدي وضمنت لي حياته هكذا اراد الله فيسر لي ان انقذ ولدك وبذلك اكون قد وفيت بما لك عليّ

— بالله كيف توفقتِ الى خلاصها

— ان امرأة باسلة انقذتها من الغرق

— هل لكِ معرفة بها

— غداً اقابلها في منزلي

– آه يا له من جميل عظيم انَّى لي ان أفي بهِ حق الوفاء

– شكرت الله الذي الهمني على القدوم منفردة ولولا اني اصحبت ماري معي لكان نالها ما ضيع آمالي وخيب امانيك

– فاذهب اذن الآن يا مورفي واحضرها اليَّ

– مولاي هل تقوى على مقابلتها وقد برَّح بك الحزن الشديد

– لا صبر لي على البعد منها وهي بالقرب مني فاذهب عجلاً يا مورفي واقض بما انا عنهُ راضٍ

– فما اقول للسائق

– ان رودلف يريد ان يرى هذه الفتاة

– فلم يبرح مورفي من مكانهِ وهو يذرف الدمع خيفة عاقبة اللقاء

– فصاحت كليماس ما بالك جامداً لا تسعى

– لا اعلم يا سيدتي بما يقعدني عن اجراء هذه المهمة

فقال لهُ رودلف – مورفي عجل والا لقيت مني ما يسوءُك

– فنهض مورفي وانصرف الى الطريق حيث وقفت العربة بماري وخلا للمركيزة وجه رودلف فاضطربت لوجودها وحدها في دار الغراندوق فانتهز رودلف هذه الفرصة ليناجيها بما يسره قلبهُ من حبها فباح لها بالشكوى قائلاً – اشكر الله الذي قيض لي من جوده ان اتمتع برآك لوحدي فابثك وجدي وهيامي وقد كنت اناجي نفسي من قبل بالسبب الذي اصل بهِ اليك فلم افز بالمرام الى ان كان لكِ ان تقدمي بين يدي سبباً ما مثلهُ من سبب فانى انقذت ولدي وكفلت لي حياتها فالرجاء إذن الآن ان تقبلي ما اقترحه عليكِ وهو ان تقومي لديها بمقام الوالدة وباوضح مقال ان تكوني امها

– فاضطربت مدام دي هرفيل من هذا الطلب وقالت وقد صبغت وجهها وردة الخجل – ماذا تقول

– اقول ان لا تخيبي سؤْلي

ولما كانت كليانس تجد وجد رودلف وعندها من حبهِ ما عندهُ فكرت برهة ثم قالت — مولاي اعذرني اذا أبيت قبول هذه النعمة الكبرى لبعد النسب بيننا

— وهل من نسب اقوى من اتصال القلبين باسباب قوية فاسمعي لي ان ادعوك حليلتي وما هو لي فهو لكِ وما لك فهو لي فانتِ ام ولدي وانا والد ولدك كلارا

— فصاحت كليانس ... آه يا سيدي ... ان التي تنتظر مقابلتها أهي ولدك

— بالله لا تخيبي طلبي وهبيني تمام الرضى

وفي تلك الاثناء فتح الباب ودخل مورفي ماسكًا بيد ماري فقامت للحال مدام دي هرفيل اليها فاخذت بيدها وقدمتها الى رودلف الذي كان وقتئذٍ مستندًا الى الطاولة لا يبدي حراكًا . فعقيب ان اوصل مورفي الفتاة الى الغرفة توارى في الحجاب ليكفي نفسهُ اللهف عند هذه المقابلة

فعندما مثلت ماري امام كفيلها رودلف (وهي لا تعلم انهُ والدها) اخذتها الرعدة فصاحت بها كليانس تشجعي ولا تخافي فان هذا الرجل هو وليك وكفيل امرك

فاجاب رودلف وفؤاده ينقطع من اللهفة — نعم انا هو كفيلك ووليك

ثم اخذتها مدام دي هرفيل واجلستها على الكرسي واشارت الى الغراندوق ان يجلس الى جانبها . فلم تستطع الفتاة ان تبدي مقالاً فابتدرها رودلف بهذا الخطاب — الحمد لله الذي اعادك الينا سالمة من كل مضرة ووقاك شر الزمان وغدره فابقي منذ الآن عندنا والمقام كريم فلا عدت تنفصلين عنا وانسي مالقيت من الماضي ونوائبهِ . واشكري الله على عطاياهُ ومواهبهِ

فقالت كليانس — نعم وهي الطريقة المثلى التي تبرهنين بها عن حبك لنا آه يا سادتي ان لي في سر الماضي سلوى ما عشت لا انساها فقد كانت لي

سبباً وصلني بكما ومتعني بحبكما ولولا انكما اغثتما لهفتي واشفيتما غصتي لكنت الآن اشقى من (بودوين)

فاعترضها روداف بقوله خلي عنك كل هذه الافكار « يا ماري» واذكري اذ دعوتك بهذا الاسم في تلك المزرعة

— لم اجهل ذلك ولكن ارجوك ان تعلميني بحال مدام جورج التي لدي مقام والدتي

= انها بكل راحة وسلام اما انا الآن فعندي اخبار مهمة أريد ان اطلعك عليها

— ما هي

— اني اكتشفت على صك ولادتك

— وما الغرض منهُ

— عنهُ عرفت والديك

وما كاد روداف يتم هذا الكلام حتى ابتدر الدمع من عينيهِ فحول وجههُ عنها فمسح جفنيهِ ثم عاد اليها وكان موري ايضاً يبكي وراء سجف النافذة المطلة على الحديقة لان ذاك المشهد كان قد اثر فيهِ تأثيراً عظيماً

فعندئذٍ كشفت لها كليمانس السر فقالت لها — نعم ان والدك لم يزل حياً

— أأبي حيٌّ هو

— نعم وسترينهُ قريباً وهو كريم النسب والحسب

— وهل يكون لي ان أرى والدتي ايضاً

— اني اترك لوالدك الجواب عن سؤالك فاخبرني الان انسرين برؤياه

— اه وهل انت في ريب من فرط شوقي اليهِ

فاستانف البرنس حديثهُ فقال — انهُ يمهد لك سبيلاً للعيش الرغد

فقالت ماري — هي عيشة ما ذقت طعمها من يوم انقذتني وارسلتني الى بوكوفال

— لا باس فان والدك يعوض عليك ما فقدتهِ من اسباب الراحة ويسليك عن ماضيك

— لا معرفة لي بهِ وكل اعتمادي عليك وشكري اليك

— فعليهِ ان محبتك لي هي محبة الوالد لولده

— نعم ولا غروَ فقد اصطنعت عندي معروفًا لا انساه مدى الدهر

— أأكون لديك مكان ابيك من قلبك

— قلت لك يا مولاي انني لم اعرف والدي وقد اسرتني بجميلك فكنت لي عونًا حين الشدة وملاذًا يوم طاردتني المصائب والحدثان . واذ كان والدي كما ابانت مولاتي كريم النسب فلا ريب انهُ يأبى ان يدعوني ولده فينكرني

فاعترضها رودلف قائلاً — كلاَّ انكِ تهت في الحكم عليهِ ويقيني انهُ يرقيك الى اسمى درجات المجد والكرامة فتصبحين بظلالهِ اسمى كريمات الامراء والاعيان

فصاحت كليمانس وموري — بلطفك يا ربي وجودك نستعين

ولم يتمالك رودلف ان باح بسره فقال لماري — ها اني قد هيأت لك حياةً سعيدة فانعمي وسري انا والدك ثم ارتمى على ولدهِ واخذ يقبلها بكل لهفة واشتياق

فصاحت ماري وهي في ذهول مما سمعت ورأت . أأنت والدي ولما لم يسعها اكمال الكلام سقطت مغشيًا عليها

فخرج موري للحال يرسل من يستدعي الطبيب داود

وفي ذاك الوقت جثا رودلف امام ولده واخذ يصعد الزفرات ويقول تبًا لي انا التعيس الشقي لقد قتلت ولدي بيدي . ولدي ماري لا تلومي والدًا باح لك بحبهِ وكشف لك اسرار قلبهِ

فاخذت كليمانس تسكن روعه وتسليهِ قائلة لهُ — خفض عليك فانها لم تمت وانظر الى ورد خديها فانهُ لم يزل زاهرًا وما اظنها الاَّ في ذهول

وبينا هما على هذه الحال دخل الطبيب داود وبيده الدواء وورقة دفعها الى مورفي

فلما رآهُ رودلف صاح بهِ مستجيرًا · ايها الطبيب نجّ ولدي

فبادر الطبيب الى معالجة الفتاة وبعد ان فحصها جيدًا قال للغراندوق

— لا باس عليها يا مولاي فانها مغميًا عليها وعن قريب تشفى

— أحقيق ما تقول انها تشفى

وكان مورفي قد قرأ ما تضمنت تلك الورقة التي دفعها اليهِ الطبيب فاحدق الى رودلف وقال

— قد كذب في الخبر الذي ارجفهُ بالامس

— ماذا تقول

— ان الكونتس لم تمت بل كان قد اغمي عليها البارحة

وعقيب ان فرغ داود الطبيب من معالجتهِ قال من الراي ان تنقلوا الابنة الى الحديقة حيث تستنشق الهواء الصافي فتطيب

فاسرع للحال مورفي الى انجاز الامر فحمل الفتاة على الكرسي الى الحديقة مغادرًا الغراندوق والمركيزة في خلوة

⁂

وعقيب ان خرج مورفي والطبيب من الغرفة ابتدر رودلف المركيزة بهذا الكلام — ألا تعلمين ان سارة ماكركوار هي ام هذه الابنة

— هل هي امها حقيقة

— نعم ان هذه المرأة كانت قد كلفت بي منذ الصغر فعقدت عليها في قرية حقيرة ولكن ما لبث ان انحل هذا العقد فذهبت وتزوجت برجل آخر فكانت سببًا لتعاسة ولدها وولدي ماري

لقد ادركت الآن سر هذه الحادثة وقد نصبت لك الحبائل لتاخذك بها

يا لها من داهية · ولكن لاتبال فان المهام التي نقدم عليها تستلزم منك الحزم واشكر الله الذي اوقف الامور عند هذا الحد ليتيسر لك ان تثبت لك ولادة ماري

— لا حاجة لي الى ذلك وسامنعها من مقابلة والدها

— اياك ان تفعل هذا الامر

— لو دريت بما تستقبلين من السعادة اذا رضيتِ ان تكوني امًا لماري

— خلِّ عنك ما كان وانسَ عاديات الزمان

— اتأبين الاقتران بي

— كلاَّ فان حبي لك غدا ثابتًا واضحًا غير ان امورًا تحول دون مرامنا فلا يسعني الآن مقاومتها واملي ان تبقى على عهدك معي فتكتب اليَّ حينًا بعد حين عما يكون من امر ماري واذا شئت ان اصير معك الى جرمانيا فانا اليك بيدَ انني اخشى ان اكون سببًا لتكدير صفاء عيشك

وفي هذه الاثناء دخل مورفي وقال لقد افاقت الابنة من غفلتها واول حديث حدثتني بهِ استعلام حال والدها

وعقيب ذلك انصرفت المركيزة لشانها وقام مورفي والبارون دي كراين وردولف الى منزل الكونتس سارة ماكركوار



الفصل الثاني والثلاثون

الزواج

ان توماس الذي عهد اليهِ ان يبلغ ساره بشرى وجود والدها في قيد الحياة كان قد دخل عليها فالفاها جالسة على الكرسي وقد اكمد وجهها من الهم ومس جسمها الضنك من الالم الذي ألم بها اثر الطعنة التي بادرتها بها البومة

وكان رودلف قد اجتمع بورفي ودي كراين والكاهن في الغرفة كسر غرفة ساره قصد ان يثبتوا صك ولادة ماري وقد اقاموا الدوق دي ليسني ودوكلاس شاهدين عليها

فلما وقف توماس بنادي اختهِ قال لها — لقد حملت اليك خبرًا في نشره الموت والحياة

— عما يكون .

— عن ولدك

— ايس لي ولدا رجو حياته

— بلى

— كيف يكون ذلك وقد مات فبالله لا تجدد احزاني

— انها لم تزل حية تخطر في الارض

— هل والدي لم تزل حية

— نعم وقد جئتك الخبر اليقين وها ان البرنس والكاهن وغيرها من

الاصدقاء قد اجتمعوا هنا في جيرتك لتثبيت الامر فمنذ الآن تدعين ملكة
فعندما سمعت ساره هذا الكلام ذهلت عن الوجود فلبثت برهة دون حراك فارتاع توماس من مرآها على هذا الحال فقال لها

— ما اعتراك يا اختاه

— ان شدة الفرح قد اخذت بروعي . آه ترى هل يصح مقالك فتتحقق آمالي بعد الياس

— ما قلت الاّ الحق فلا تماري واخبريني هل تحبين ولدك

— لا ريب في مزيد حبي . لقد طابت الآن نفسي وطال عمري فاين موضع البرنس لهذا الوقت

— أريد ان اراه قبل حفلة الاكليل ولا بدّ ان تكون الابنة لديهِ ;

— ان تنظريها

— بالله ارجوكِ ان تدعو البرنس اليّ

ففصل توماس عن شقيقتهِ وغادر باب الغرفة مفتوحًا

فقالت ساره في نفسها — لقد تكللت امالي بالنجاح ووفقني الله بيمينهِ الى ان ارى وادي . وبينا كانت تناجي نفسها بهذهِ الاماني دخل عليها رودلف وقال لها

— هل بلغك اخوكِ الخبر

— نعم يا سيدي وقد جلا بهِ عن فؤادي الغم والكدر

— لقد جاء الكاهن والشهود وهم في موقف الانتظار

— عرفت ذلك لكن ارجوك ان تسمح لي بكلمة ابديها لك

— ما هي

— مولاي ارغب في مقابلة ولدي

— لا يسعني اجابة سؤلك للحال

— لا تخيب رجائي

— يتعذر عليّ ان اقبل بها عليك لان السقم قد فعل فيها فاخاف ان يبادهها من مقابلتك ما يزيد اعتلالها

— رحماك لا تحرمني من هذه النعمة الكبرى

— لا تلجي ياساره في طلب ما تحصلين عليهِ وقد تحقق الآن سمو مقامك اذ تصبحين ملكة بالقرب مني

— مولاي لا رغبة لي في السمو قبل ان افوز بامنيتي . فان تحرمني منها حرمتك من يدي وغادرت الابنة حيث هي مجهولة النسب

— فاسمحي اذن ان ابعث بطلبها من منزلي

— فدونك القلم والقرطاس واكتب الرسالة وانفذها للحال

فاخذ رودلف لوقتهِ بكتابة الرسالة . ولما فرغ منها نهض وقال — ها انا انفذها عجلاً اليها ثم اعود بالكاهن والشهود لعقد الزواج

— مالك والذهاب بنفسك فاليك الجرس فاقرعه يأتك الخادم فسلمهُ الرسالة والبث عندي الى ان يوافيك بالجواب

ففعل رودلف وفق الاشارة فمثل لديهِ الخادم فاوعز اليهِ ان يدعو مورفي فلبى الامر ولما جاء اليهِ مورفي دفع اليهِ الرسالة وابلغهُ ان يفهم الكولونل ان يأتيها بماري على العربة وان يتقدم بالكاهن والشهود الى الغرفة المجاورة

ولما خلا وجه رودلف لسارة صاحت رباه اعطيني قوةً لارى وحيدتي

فقال لها رودلف — أما كان الاليق بكِ ان تسيري من قبل معها سيرة الام الشفوقة

— آه لقد اخطأت وعرفت ذنبي وقد قدر لي الله ان اشاهدها فاثبت نسبها واموت عنها راضية

— مالك وذكر الموت

— لا انطق الاَّ بما اشعر بهِ وقد دنا الاجل بعد تحقيق الامل . فهات يدك يا رودلف فاقبلها

فبسط اليها الامير يدهُ وقال ما بال يديك ثلجة ماذا اصابك

-- قلت الك اني على حد اللحد فسامحني واصفح عما كان مني ولا تذكر لولدي شيئًا من افعالي بل اطبع في فؤادها حبي وسلها قلبي كما تسلمتهُ الان تائبًا

-- اني لا اذكر لها ابدًا ما يوجب النفار واجعل ماضيك لديها سرًا في جملة الاسرار

-- هذا املي الوحيد فجد لي اذن بالرضى واصفح عن هفواتي كما صفحت عنك بسيرتك معي

-- اني سترت عيوبك وغفرت ذنوبك

-- فادعُ الكاهن والشهود يقيمون هنا الى ان امتلك شيئًا من الراحة ثم اقوم بما تأمر

فقام رودلف واحضر الكاهن والشهود وعقيب ان سكن روع ساره قليلاً كتب العقد ووقعهُ الامير والكاهن والشهود بعد تبادل الزوجان الرضى بحضرة الكاهن ثم انصرفوا جميعهم وقام الكاهن باشارة من رودلف في الغرفة المجاورة

فعندئذٍ عاود ساره الالم والضعف فصاحت = أَراني على شفير الهاوية وقد دنا اجلي قبل ان احظى برؤية ولدي

-- فاجابها الامير تشجعي يا ساره ولا تقنطي من رحمة الله

-- لقد خاب الرجا ولم يبقَ لي في الحياة ملجأ

-- سارة ها اني اسمع صوت العربة التي تقل ماري قد دوى في فناء القصر فتقوّي وانهضي الى لقياها

-- لقد خارت عزائمي وضعفت قوتي فالرجاء يا رودلف ان تكتم عنها امري وتصون سري . واذ لم يبق لي أمل بمراها فاودعك الان واكلفك ان تودعها عني لان الموت قد دنا مني . فما اتمت هذا الكلام حتى غارت عينا ساره وشحب وجهها وثلج جسمها . وفي هذه الاثناء دخل مورفي يعلن للامير قدوم ولده فاشار

البو رودلف ان يبقيها خارجًا وان يدعو الكاهن البو لان سارة تتنازع ووحها المنية . فلم يكد يفصل عنهم انضاء ما عهد البو حتى قبضت روح الكونتس .

الفصل الثالث والثلاثون

البيمارستان

اننا نقبل بالقارىء عقيب ان شاهد ما كان من امر رودلف مع سارة ماكركوار على البيمارستان فنقف معًا عندهُ وكان بناء عظيمًا قد تألف من طبقتين ففي الطابق السفلي سجن على مدام مارسيال وولدها افلين المحكوم عليها بالاعدام في الغدو معهم ايضًا السكلتون ونقولا مارسيال و بعض المسجونين الذين امعنوا في الفرار من لافورس فاتفق ان وصولنا البو واقبالنا عليهِ كان نحو الظهر فلما اذنت الساعة الحادية عشرة سمع صوت عربتين قد وقفتا في فناء البيمارستان وكان في الاولى منهما مدام جورج وربكولت وفرنسوا جرمن وفي الثانية أليس مورل و والدتها

فلما بلغوا الى كن البواب ابتدرهما هذا الرجل بالسؤال عن شانهم

فاجابوه — انا جئنا لزيارة مصاب

— فابقوا اذن هنا ريثما اعلن قدومكم الى الرئيس

فتقدمت حينئذٍ مدام جورج آخذة يد مدام مورل وفي اثرها ريكولت وأليس وجرمن يتبادلون الحديث فقالت ريكولت موجهة الخطاب الى أليس

– ما اسعدني برآكِ يا عزيزتي بعد تغيب خانني فيهِ الزمان فاقعدني عن وفاء ما كانت تحدثني بهِ نفسي كل يوم

– لاشك بخلوصك يا ريكولت وعندي من بينات وفائكِ ما يغنيكِ عن الاعذار

– لِمَ تدعوني بريكولت وقد وفقني الله الى الاقتران بجرمن ألم يبلغك الخبر

– نعم وقد دعوت لك بالهناء وخصب العيش

– لكن فاتك ان تعرفي امرًا هو اهم لديكِ من كل ما تذكرين

– فما هو

– ألا تذكرين جميل الشخص الذي كان سببًا لنجاتكما

– كيف انساه وذكرهُ أليف فكري وحليف صدري كل ساعة. لكن وآسفاه اذا خابت امال الطبيب

– لا تقنطي من رحمة الله فانهُ سيفوز بمعالجتهِ تمامًا وهو حاذق ماهر

– افوض امري للاله فانهُ بصير باحوال الجميع واعلم

– احسنت ولكن اتعرفين الموسيو رودلف

– أما هو ملجأ المسكين ونهضة الذليل وشفاء العليل

– هذا امرٌ مشهور انما اريد ان اسألك نسبهُ الخاص فان كنتِ تجهلينهُ فانا ابينهُ لك بكل وضوح ولكن اخبريني مالي لا أرى الفرد بوبلت وامرأتهُ بيننا وقد كان من الواجب ان يقفا معنا في هذا الموقف حسب اشارة الطبيب

– انهم سيأتون قريبًا

– بشراكِ اذن بخلاص والدكِ آه او كنتِ تعلمين ما شمل فؤادي من الفرح والسرور عندما نجوت بجرمن من سجن لافورس فاسمعي القصة واطربي انني عقيب ان فصلت بهِ عن موضع الشقاء الى حجرتي فما جلست فيها برهة الاَّ وسمعت الباب يطرق فقمت اليهِ فاذا هو رسول من قبل رودلف جاءني بكتاب منهُ ففضضتهُ وقرأتهُ فاذا هو يتضمن هذه العبارة «اسرعي بجرمن الى

مزرعة بوكوفال » فابيت الامر سريعًا فاستأجرنا عربة وسرنا الى المحل المقصود ولكن من يصف فرحي عند وصولي اليهِ وعلمي ان مدام جورج صاحبة تلك المزرعة هي ام فرنسوا جرمن

— أهي والدتهُ

— نعم

— وَلِمَ كان قائمًا بعيدًا منها غريبًا عنها

— لانهُ كان يجهلها لاسبابٍ وهي ان والدهُ ثيَّب امهُ وهو بعد صبي لم يبلغ السادسة فنشأ بعيدًا من حجرها الى هذه الساعة

— ما كان اشد سرورها عند لقياه

— انها احسنت استقبالنا واكرمت مثوانا فاقمت عندها زمانًا قطفنا فيهِ ورود الحظ من جنات الهنا الى ان نقرر يوم الزفاف ففي مساء ذلك اليوم جاءنا رسول من رودلف وقد حمل الينا الهدايا النفيسة والطرف النادرة والمال الجزيل مع كتابٍ كان مظهر فرحه وارتياحه الى هذا الاجتماع الخفي ثم اعلن لهُ فيهِ انهُ قد اقامه رئيسًا على مصرف الفقراء فشكرت الرسول وفضل مرسلهِ فرددت لهُ الكتاب يفيض بالثناء على احسانهِ وكرمهِ وطالبتهُ فيهِ بانجاز وعدهِ في حضور حفلة الثناء . اه لو كنتِ تعلمين بمقام هذا الانسان ومنزلتهِ بين اعيان الزمان

— لا ريب انهُ من اسمى رجالهِ مقامًا واوفرهم مالاً

— انهُ امير ملكي

— ما تقولين

— نعم امير جيرلوستين

— فمن اين تعلمين ذلك

— ان فرنسوا اخبرني بهِ

— ما هذا الخبر

— وقد صدقهُ الخبر بما شاهدناه يوم زرناه في قصرهِ في شارع بلومت

وهناك كانت الجند والاعيان تحف بهِ من كل جانب فصادفت عنده كل اكرام وقد فهمت من حديثهِ ان من عزمهِ السفر الى جرمانيا .

– آه يا لتعاستي وشقائي

– لِمَ هذا الاسف وانت اسعد الناس مالاً

– هذا كلام لا يشفي ما بي من الهم

– دعي الاسف واللهف الآن فها ان بيبلت ومدامتهُ قد اقبلا فعسى ان يكون لنا بقدومها النجاح

– على الله اتكالي وهو لي نعم المولى ونعم النصير

وكان الفرد لابساً قبعة كبيرة واسعة الاطراف مشتملاً برداء اسود والى جانبهِ انسطاس تجر ذيل ثوب من الصوف الناعم

اما الفرد فكان قد اعياه الجد واجهدهُ المسير فحالما رأى جرمن وريكولت بادر اليهما وصاح بشراكما لقد ذهب

فسألتهُ ريكولت ما تعني بذلك

– عليَّ ان اقدم لكما فروض التهاني

فاعترضتهُ ريكولت وقاطعتهُ الكلام قائلة

– ما معنى قولك ذهب

– اني اشير الى كبرون ذلك الخبيث

– أأنتَ على يقين من هذا الخبر

– نعم وقد رأيتهُ مزايلاً فرنسا على قصد الشخوص الى استراسبورج

و بينما كان الفرد يتحدث بهذا الكلام جاءت انسطاس امرأتهُ وقالت

– لا شك ان الفرد يتكلم عن سفر كبرون

– نعم

– لا يزال ابداً يردد ذكرهُ

– ومن كان السبب في سفره

- الشهم رودلف فضلاً عن ذلك انهُ اقامهُ بوابًا لمصرف الفقراء

- لله دره من جواد كريم وقد اقام جرمن رئيسًا عليهِ

- فعليهِ سنعيش في هناء ورغد

- من الذي نقل اليك تلك البشرى

- اذ كان الفرد جالسًا ذات يوم في غرفتهِ يعمل في صنعتهِ وفد عليهِ رجل طويل القامة فاخبره بسفره الى استراسبورج حيث يقيم ابدًا وقد كان السبب في ذلك سعي رجل كريم ثم دفع اليهِ الجواز تاكيدًا للرواية . فلما سمع الفرد الخبر استطير لبهُ فرحًا وشكر الله على خلاصهِ من مكائد هذا الرجيم

فقالت لهُ ريكولت — هنيئًا لك يا صاح فقد بلغت المراد واسمع الآن ايضًا خبرًا يزيد سرورك وينعم بالك

- هات ما عندك من اثار الخير

- هل عرفت بمقام رودلف

- كلاَّ

- ان هذا الرجل لملك عظيم

فصاحت انسطاس مدهوشة — أَحقيق ما بهِ تحدثين

- هو الحق لا ريب فيهِ

وفي تلك الاثناء رجعت مدام جورج تعلن قدوم الطبيب



الفصل الرابع والثلاثون

نزلاء البارستان
الاستاذ ومورل

ان الطبيب هربن كان قوي البنية رحب الصدر ذائع الصيت أحرز في فن الطب شهرةً ضربت على شهرة اقرانهِ لا يمل من اصطناع المعروف وخدمة المعوذين فلما دنا من مدام جورج ابتدرتهُ بهذا الكلام

– اسألك العذر ايها الطبيب عن قدومي اليك في ساعة توفرت فيها الاعمال لديك ولكن من كان قلبهُ كقلبك مطبوعاً على حب خير الانسانية لا يأبى ان يرى الناس حولهُ وقد جمعتهم الغاية التي من اجلها سعيت وتسعى الاَ وهي الاحسان فقد أتيتك راغبة في الوقوف على احوال مورل

– لا ريب ان في اجتماعكم هذا اثراً حسناً في صحة العليل

فقالت امرأة مورل – اعلم ياسيدي ان هذه الكريمة (مشيرة الى ريكولث) كانت سلوتي في انقطاعي عن زوجي بل غوثي وعضدي

ثم قالت أليس – وهذا الرجل (اي جرمن) كان لنا عوناً على البأساء وشريكاً في ملاقاة البلاء ثم نظرت الى البواب والبوابة واثنت على جميلها بحضرة الطبيب على انهما لم يغفلا اصلاً مساعدتها وموالاتها

فقال الطبيب موجهاً الكلام الى مدام جورج – اذا كان مشهد المعتوهين لا يزعجك فتقدمي معي لنقصد المحل الذي نزل فيهِ مورل فدخل جميعهم اثر

الطبيب يتخطون المبايت الغاصة بالمصابين الى ان بلغوا وسط الطريق فوقفت مدام جورج من الذعر والرعب ففواها الطبيب بحديثهِ فاستانفت المسير مارة بالمصابين على اختلاف اجناسهم وما زالا على هذه الحال الى ان عارض الطبيب شخص ضخم الجثة فحياه بكل سكينة وشكا اليهِ ما يعانيهِ من جفاء رجل اعمى قائم الى جانبهِ فسكن روعه الطبيب وطيب خاطره ونقدم بن معهُ اليهِ ولما وقفوا بهِ سالتهُ مدام جورج — ومن يكون هذا الاعمى

— ان لهذا الرجل قصة غريبة جديرة بالذكر . جيء بهذا الرجل من حانة في جوار الشانزليزة حيث القي القبض عليهِ في جملة من كان يأوي الى تلك الحانة من الاشقياء . فمنذ دخل البيمارستان الى اليوم لم يفه بكلمة فلا اعلم اذا كان حقيقة ابكم امر كان ذلك منهُ حيلة وقد قتل عجوزًا تدعى البومة في سرداب مظلم فسيق الى هذا المكان اذ تبين من حالهِ انهُ لم يفعل ذلك الأ عن اختلاط عقلهِ

فتقدم اليهِ جرمن لينأ ملهُ وقال بصوت منخفض — يا لشقاء هذا الرجل اني اتاثر لهُ

فاجابتهُ والدتهُ — صدقت ياولدي ان مراه يفطر القلب حزنًا عليه

فما كادت مدام جورج تتم الكلام حتى اجفل الاعمى فقام منتصبًا فارتاعت مدام جورج واجمت فقال لها جرمن

— ما دهاكِ يااماه ما اعتراك

— لا شيء لكنني اسفت لقدومي معك

— لا موجب للاسف

اما الطبيب فانهُ نقدم الى الاستاذ واخذ يلاطفهُ فلم ينجع لان الاعمى لم يستطع صبرًا على السكوت عند سماعه صوت ولده مرارًا

فزاد تأثر مدام جورج واكمد وجهها فأوى الطبيب لحالها فاخذ بيد شارل احد المصابين واجلسهُ الى جانب الاستاذ بدلاً من اخر كان يصم الاذان

بدوي صوته مكررًا هذه العبارة « عند اصل الدغلة » واشار الى من كان معهُ ان يتقدموا الى موضع مورل قائلاً . اسأل الله ان يبلغني الاماني ويحقق رجاك ايتها السيدة الكريمه

وبينا هما في الطريق سالت مدام جورج الطبيب عن سبب جنون مورل فاجابها — يظن من عجز مورل المالي وتعرّض ولده أليس من جراء ذلك الى سوء معاملة جاك فرّاند

فما طرق هذا الاسم اذن مدام جورج حتى صاحت سحقًا له من غادر ماكر نال ولدي منهُ شرًا تنبو عنهُ السماع لاسيما ما اجراه اخيرًا مع أليس تلك الفتاة المسكينة

— لقد علمت بكل اعماله واذ بلغنا الآن المحل المقصود طلب اليهم ان ينظروه برهة ثم خاطب أليس قائلاً

— انك تدخلين اولاً ثم يتبعك الآخرون

فاجابتهُ أليس — بالله لااقوى على الوقوف امامهُ وقد خارت قواي وانحط عزمي . واخاف يا سيدي ان يحبط مسعاك فيخيب املك بشفائهِ بهذه الحيلة

— لا لا كوني براحة من هذا القبيل واملي بالله ان تحقق الآمال

فدخل الطبيب ماوى مورل فراه يتمشي في المجال مرددًا هذه الكلمات ١٢٠٠ فرنك أرش أليس فثبت واقفًا ينتهز فرصة سكوتهِ فلما بهت مورل تقدم الطبيب الى الطاولة فألقى عليها صرّة دراهم قائلاً — هاك بدل اتعابك فاسرع مورل اليها فقبض على الصرّة وتوجه نحو الباب فنادى الطبيب بأليس فاسرعت للحال اليه ولما مثلت امام والدها التي عنهُ الدراهم ورفع الحافظه ويديه الى السماء ولبث صامتًا *

فنبضت فريصة أليس واجهشت للبكاء فاشار لها الطبيب ان تخفي لوعتها اما مورل فكان جامدًا شاخصًا بما حولهُ فتقدمت اخيرًا أليس اليه وارتمت على ابيهِ وعانقتهُ . فارتد مورل عنها فرقًا وقال

— من الماثل امامي . أَفي يقظة ما ارى ام في منامي . . . من جآء بهذا الى هنا . . . اطيف أَليس يلوح قدامي . . . نعم قد جاء يؤاخذني بما ارتكبت من التقصير في مساعدة ولدي

فصاحت أَليس — ابي انا ولدك كما رأيت بالعيان لا بالاثر

فما كادت تتم أَليس هذه الكلمات حتى دخل كل من كان معها فارتاع مورل عند مرآهم فقال

— بالله اصدقوني الخبر . . . اين انا الان . . . أَليس أَأَنت ولدي كما تدعين

— نعم نعم ولست ادعي بذلك بل هو حقيقة واضحة

— كيف اصدق الخبر وقد ساقوك امامي الى السجن

— نجوت منهُ بعون الله وامره

— وما جرى لفرّاند

— مات لا اسفًا عليه

— اه لقد عادت روحي اليّ . لكن اخبروني اين انا الان

فاجابهُ الطبيب اتينا بك الى الجبال ترويحًا لنفسك من وطأة الحمى التي اصابتك

— ما هذا المبيت والى من . . .

— هذا منزل صديقك رودلف

ثم امر الطبيب جرمن ان يأتي بالعربة الى ناحية منقطعة عن البيمارستان ليحجبه عن عيون مورل مرأى المصابين فيلتوي عليه الأمر

فسالتهُ مدام جورج — هل نال الشفاء تمامًا

— لم يزل يشكو اثرًا من مصابه واملي ان يزول الباعث تمامًا فعليّ بشفائه بعد الاتكال على الله فاني اعوده مرارًا اذعانًا لامر امير جيرلوستين الذي اوصاني به

فشكرتهُ مدام جورج وانصرفت مع ولدها ومن كان معها عن المكان

. . . .

. . . .

فلما فرغ الطبيب من مقابلة زائريه عاد الى الردهة فقابل فيها احد امراء العساكر وقال لهُ – أتيتُ اليك قصد مكاشفتك بما عندي من الاخبار

– ما شأنك

علمت بما كان من امر تلك المرأة وابنها اللذين كانا نازلين عندي وقد حكم عليهما بالاعدام

– أليست هي امرأة مارسيال الشقي المعروف

– بلى

– فلا غروَ اذن اذا حذت حذوَ زوجها . وما عندك غير هذا من خبر

– انها كانت قد طلبت ان تنفرد مع ابنتها في محل واحد فابيح لها ذلك ولما جاءها الكاهن تصدَّت له بما يمس حرمتهُ

– لا ريب انها في ضلال

– لو راجعت النظر في تاريخ هذه العائلة لرأيت ان كل اعضائها قد ماتوا شنقًا الاَّ مارسيال واخوه وشقيقته وفي كل سجن اثر من ثعلبه . وقد ركن نقولا اخيرًا الى الفرار فاقتصت الحكومة اثرهُ فطيرت الرسائل البرقية في ارباض فرنسا وبثت الشرط في احيائها الى ان تهتدي اليهِ ومما علمت ايضًا ان الام قد ارسلت تستدعي مارسيال لتراه قبل ان تدركها الوفاة فهل ترغب في شهود ذلك

– كلاَّ فان مثل هذه المشاهد تذيب قلبي ومع ذلك هل اتخذوا موعدًا

– نعم وقد سموا الساعة السابعة الملتقى في ساحة سان جاك حيث يتالب الناس لحضور هذا المشهد المفجع لا سيما وقد اتفق ان ذاك اليوم المعين كان

موسماً يحتفل الناس بهِ في المتنزه خارجاً

. . . .

. . . .

ولما كانت الساعة الرابعة ليلاً من الغد احدقت شرذمة من الجند بالموضع الذي حلت فيهِ مدام مارسيال وابنتها افلين الموضع الذي نقف بالقارىء عنده لنودع معاً احدى نساء هذه الرواية

الفصل الخامس والثلاثون

الحكم في الاعدام

كنا قدمنا ان البيمارستان قد تالف من طبقتين عليا وسفلى فالى هذه الطبقة الثانية كان يأوي مدام مارسيال وابنتها حيث كان ينتظران الموت بوجهٍ طلق وكان على باب الغرفة خفيرٌ قد وخط الشيب راسهُ يخفر المكان ليلاً نهاراً . وقد كان السكوت شاملاً في تلك الناحية لا يسمع فيها صوت الى ان دعت افلين الخفير وطلبت اليهِ ان يأتيها بكاس ماء فنهض الجندي ملبياً طلبها . ثم سالتهُ كم الساعة الآن

— انها نحو الرابعة

فضحكت افلين وقالت — بقي لنا من العمر ثلاث

فهزت الارملة اكتافها فسالتها الابنة

– ما شانك يا اماه ألا تشعرين بوهنٍ

– كلاَّ

– لقد تاكدت ذلك من وجهك فانهُ لم يتحول بل انتِ الآن كما كنتِ قبلاً في جزيرتنا يارعى الله انس تلك الليالي

– صه

– ولِمُ الانصات ألا يجب ان ندبر ذكر ايام الصبا والاوقات التي مرَّت بنا كالهبا لم يبقَ لنا من العمر الاَّ ثلاث ساعات

– اضربي عن هذه الافكار

– فالعمل يا اماه ان اعرض عرضك بالشجاعة والباس . فيا ليتني أطعت الكاهن وتصديت اشارتك

– لقد مضى الزمان وفات فهيهات ان ينفع الندم هيهات

– اماه اني لاعجب من شجاعتك عند ملاقاة المنون فها اني ارتعد فرقًا عند سماع دنو الاجل

– اننا بعد ثلاث ساعات نلاقي مارسيال فتشجعي ولا تضطربي

فاعترض الجندي على كلام الام قائلاً – خلي عنكِ مواخذة والدك فليست باشجع من عظماء الرجال الذين نازلوا المنية في القتال ومع ذلك عند ما دنت منهم الوفاة وهم في منازلهم ارتجفت ابدانهم واهتزت فاستعانوا بالله على لقائها فان «ليلون» القائد العظيم المشهور في مقارعة الابطال لم يغفل ذكر الله عند ماحضرته المنون

فهزت الام راسها استخفافًا اما الابنة فسخرت من امها وقالت للحارس

– اني نادمة من اجل صدّ الكاهن وانكار ما اشار اليَّ بهِ

فعند ئذٍ نهضت الام من مربضها وقالت – اقصري الكلام فها قد قربت الساعة التي بها نقابل اخاك مارسيال

وما كادت تتم لفظ هذا الاسم الاَّ وقرع باب السجن

فصاحت افلين – لقد خدعنا بقولهم لنا ان قد يقضي علينا الساعة السابعة

فانها لم تبلغ بعد الخامسة

فنام الحارس الى الباب ثم عاد واعلن للام قدوم ولدها مارسيال وقد جاء خصوصاً لمقابلتها

— دعه يدخل

فدخل مارسيال وكان اصفر الوجه كئيباً فلما رأتهُ امهُ قالت لهُ

— هل دريت بما سيصيب امك من العذاب

— أما كنتُ قد انذرتك بهذا فلم تعبأي بهِ

فامتعضت الام من هذا الكلام لانها كانت تأمل ان تسمع من مارسيال ما يزيدها شجاعة وما يسعدها على النجاة فقالت

— اعلم يا مارسيال انهُ قد بقي من عمري ثلاث ساعات وعما قريب يقتادونا الى ساحة سان جاك حيث يقضى علينا

— اسفاه وهل استطيع للامر دفاعاً . فلو سعيت سعيكما او سرت سيرتكما لاصابني ما اصابكما

فصاحت افلين — آه يا اخي ما كان ضرني لو اذعنت لرأيك وعدلت الى سيرتك

— لقد قضي الامر ولم يبقَ الاَّ الصبر فلا بدَّ ان ياخذ العدل مجراه

— اذن استخلفك على فرنسوا واماندين فاطلب اليك ان تعني بتهذيبهما كل العناية اما نقولا فلا ريب انهُ يتبعنا على الاثر

فقالت الام — ان فرنسوا ايضاً لا بدَّ ان يحيي شهرة عائلتهِ فيعمل عملنا

فاجابها مارسيال — كلاَّ اماه ليس الامر كما توهمين فاننا سنزايل فرنسا قريباً

— الى اين تذهب

— الى الجزائر فان لالوف كانت قد انقذت الابنة التي كان يحمل نقولا على تغريقها فكافاها اهلها اذ اقطعوها مزرعة لهم في تلك الاقطار

— أأركن الى ما تقول

— لم آلف الكذب ولا انطق الاّ بالحق الواضح

— لقد زدتني غماً بما تؤكده لي وقد كنت وطدت النفس على ان اولادي يأخذون بثاري من اخصامي ويخطون خطوتي فيها انك عدلت بهم عن هذا العزم فصيرتهم حملاناً بعد اذ كانوا ذئاباً

وعند ذلك آذنت الساعة الخامسة فصاحت افلين — لقد انت الساعة يا للندامة

فاجابتها امها — صه ايتها الجبانة فسامعك صوتي ساعة الوداع في تلك الساحة

فصاحت افلين باخيها — بالله يا مارسيال انقذني من هذا المكان فها قد اقبلوا علينا ليسناقونا كالغنم للذبح

فلما سمعت امها صوتها غضبت غضباً شديداً وتهددتها بالقتل قبل الساعة ان لم تكفّ عن الاستغاثة والاستنجاد

فنهض حينئذٍ مارسيال يريد الانصراف فقال — لقد دعوتني يا اماه اليكِ فما حاجتك عندي اوضحيها لي قبل انطلاقي

— كنت قد دعوتك لاوصيك باخذ ثاري من عدوي فخاب املي اذ وجدتك جباناً ضعيفاً وفي ذاك الحين علت ضجة في دهليز المكان وازدحمت الاقدام فنظر الحارس الى الساعة وانتصب واقفاً ينتظر اقبال الوفد

وكان الفجر قد لاح ففتح باب الدياس الذي اوت اليهِ الارملة وولدها ودخل رجلان وبيد كل منهما كرسي فتقدم كلٌ منهما الى الارملة وقال لها

— لقد جاءت الساعة

فنهضت الام واحنت راسها . اما افلين فصاحت حتى ابحها الصياح وعقيب ذلك دخل ثلاثة جنود وبايديهم القيود يتقدمهم ضابط قد حمل الحكم الصادر بالاعدام (وكان الجلاد)

فاخذ الجند بتقييد افلين التي كانت تزأر زئير الكواسر اما مارسيال فكان يتوجع من هذا المشهد المجع دون ان ينبس بكلمة

فتقدمت الارملة الى الجلاد قائلة - اين تريد ان اجلس

فاجابها - على هذا الكرسي

وقد كان كثر الحشد في ذاك الديماس وازدحمت فيهِ اقدام الناس فخطرت الارملة في المجال مطانة البال لم ترهب هول تلك الحال . ثم تقدمت الى ولدها وقالت لها عانقيني يا ولدي

فلما سمعت الابنة هذا الصوت رفعت الحاظها الى العلاء وقالت - ربي اسكب غضبك على هذه الام الشقية التي ساقتني بشرورها الى هذا المكان المظلم وعلمتني من المكر والغدر ما لم اكن اعلم فجرعتني كؤوس العذاب وابلت جسمي باشد مصاب

فاعترضتها امها قائلة مرة اخرى - ولدي قبليني عانقيني قبل ان تفارقيني

فزجرتها افلين وقالت لا تدانيني

- بالله ولدي سامحيني اذ كنت سببًا لهلاكك

لا سماح ولا صفح فاليك عني اليك . وقد اغمي عليها فسقطت دون حراك فحوّلت عندئذٍ الارملة الحاظها الى مارسيال وقالت لهُ والدمع يهطل من عينيها

- وانت يا مارسيال هل تنكر عليّ هذه السلوى

فتقدم مارسيال اليها وارتمى بين يديها وعقيب ان قبلتهُ انهضتهُ وقالت

- انهض يا مارسيال لقد طال بالجلاد المطال

فدنا الجلاد من مارسيال وقال - يجب عليك ان تنصرف من هنا لئلا يدهمك اذى

فخرج مارسيال حين كان الجند قد اخذوا الوثاقات ليوثقوها كلاً منهما على كرسيهِ ولما فرغوا من هذه المهمة اخرج الجلاد من جيبه المقراض واشار الى الام ان تحني راسها ففعلت قائلة لهُ - اني اليك فافعل بي ما تشاء فلن تلقى مني

معارضاً وقد تاكدت من قبل خضوعنا وارتياحنا الى مثل هذه العقوبات

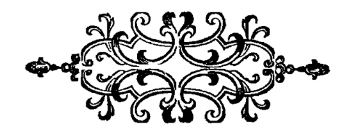
فلم يفه الجلاد بكلمة واخذ يقرض شعرها المسترسل على اكتافها فقالت لهُ – اشكرك ايها الجلاد على عنايتك بي فقد ذكرتني الآن بفعلك هذا عهداً طاب لي ذكره وهو انني لم اكن اعني بالتشوف منذ تزوجت بارسيال. فاليوم قد فعلت هذا حبّاً بالموت وهو لي خير قرين

وبينما كان الجلاد مشتغلاً بقرض شعور الجانيات تقدم الكاهن من صاحب السجن وقال لهُ دعني احاول الدخول على هذه الشقية علها ترعوي عن غيها فتتوب الى ربها . فاجاز لهُ ذلك ولكن دون طائل لان الخبث كان قد ملأ قلب الجانية فاعمى بصيرتها ودفعها الى الياس والقنوط

وعندما فرغ الجلاد من عملهِ قال لها – لقد انجزنا ما يقتضي فهلاً تحتاجين الى شيء قبل السفر ألا تتزودين

فاجابتهُ بكل رزانة – كلاً فان الارض تشبعني من جوفها ما يكفيني مرارة زادكم

ثم نهضت على عزم المسير الى الجزرة فاخترقت صفوف الجند وفي اثرها ولدها افلين محمولة على كرسيها لان العذاب وهولهُ كان قد اثر فيها فلم تستطع السير على القدم الى الساحة حيث كانت العربة بانتظارهم فلما بلغوها ركب الجند والارملة وافلين قاصدين ساحة سان جاك



الفصل السادس والثلاثون

فتاك ومارسيال

قبل ان نستوفي الكلام عما يتعلق بحالة ارملة مارسيال نعد الى ذكر ما جرى لفتاك عقيب ان انقذ فرنسوا جرمن من يد السكلتون في لافورس فخروجه من السجن فكان عن برهان قدمهُ بين يدي المستنطق فحاز لديهِ القبول

اما رودلف فكان يودّ فتاك مودة عظيمة فانزلهُ في شارع بلومت حيث كان نازلاً ووعده ان ياخذهُ معهُ الى جرمانيا . لكن الغراندوق عندما عرف بحياة ولدهِ تبدلت افكاره فتحولت عن نهجها الاول فعدل عنهُ لانهُ كان يخشى ان تتذكر ماري الايام الأُول فتتاثر عند مرأى فتاك فقال لهُ

— ورد اليّ خبر من صديقي في الجزائر مفاده انهُ يحتاج الى مساعد

فلما سمع فتاك هذا الكلام اكمد وجههُ واكفهر فاخذ يذرف الدمع لفراق الغراندوق وهجره

ولما كان الغد استدعى رودلف لالوف ومارسيال فاقطعها المزرعة التي تقدم الكلام عنها جزاء ما اصطنعاه من الجميل عند ولدهِ ووطد الرأي على ان يرسل فتاك في رفقتها

فاستوثقت عرى المودة بين مارسيال وفتاك وتمكنت ربائطها حتى تلازما ملازمة السوار للمعصم وكان فتاك في رفقة مارسيال ساعة سار لمقابلة امه في

السجن حيث بقي خارجًا ينتظره بالعربة فعند عودهما الى باريس جرى بينهما اثناء الطريق الحديث الآتي

قال الفناك — حتى مَ هذا الكدر والحزن فانك لست بشيء مما أصاب عائلتك فقد نهجت حياتك كلها نهج الكرام وسرت سيرة شجاع همام وفضلاً عن ذلك فانك اليوم ستزايل فرنسا فتنجو من الاوهام

— لقد اخبرتك يا فتاك ان حزني لفقد امي واختي . . .

— لا اخفي عنك انهم قد نالوا جزاهم

— لا انكر ذلك فهل هيات معدّات السفر معنا

— كلاّ

— ولِمَ

— لا اعلم كيف اتدبر بالامر وقد اخبرت امراتك بالسر . . . . . .

— دعنا الآن من ذكر الماضي فلا بدّ لنا رغماً عما يتقسم فؤادنا من الغم لفراق الوطن ان نهجر بلدًا غادر اهلنا جرائم لا يسعنا استماع اذاعتها بين الناس وقد فعلت انت ايضًا ما يدعوك الى سرعة الرحيل واملي ان نصادف حيث ننزل حظًا اكيدًا وعيشًا رغيدًا

— أما قرأت ما قيل .

ليس يخلو المرء من ضدٍ ولو حاول العزلة في رأس الجبل

— فلا بد ان يوجد هناك ما ياخذ بثار القائد مني

— كفاك تزعج نفسك بمثل هذه الافكار فهل فعلت ما فعلت عمدًا وكم كفرت عن ذنبك بالحسنات وما اظن الله تعالى يعاقبك عن جريمتك بعد تحقيق توبتك

— ان بالامس تراءى لي شبحهُ فهالني

— جاءك ذلك عرضًا

— كلاّ بل جاءني نذيرًا بحادثٍ لا بدّ ان القاه اليوم

— ذلك وهم

— كلا بل عندي انهُ الحقيقة

— ان الحزن صوّر لك ذلك وقد عرفت خطأي الآن اذ اتخذتك لي رفيقًا في زيارة البيمارستان فاثر في نفسك مشهد المعتوهين

فهز فتاك رأسهُ وقال — كنت قد علمت ان من عزم رودلف السفر هذا اليوم وقد ارسلت رسولاً اليهِ يستعلم حالهُ فعاد فاخبرني بعزمهِ السفر اليوم في طريق ابابري شازلتون ومنها الى الهافر ثم بركبان الباخرة الى محلها فعليهِ لابد عند وصولنا الى باريس ان نعرج على منزلهِ فنجري سنة الوداع

— اتحبه جدًا يا فتاك

— اني استميت بحبهِ لكني لا اعلم بالسبب الذي حملهُ على فصلي عنهُ

— فلعلهُ يدعوك من الجزائر

— كلا وقد تأكدت انفصالي عنهُ دون رجعة

— فصرّ عنك الهم والغم واعلم ان عيشتنا في تلك الاقطار تضربُ على ما نقاسيهِ الآن فنعيش بمعالجة الارض عيشًا خصيبًا

— اسأل الله ان يولي عني الاحزان ويزيل الكروب التي احاطت بي من كل جانب

— اني اؤكد لك الراحة والهناء فاقلع عنك افكار الهم والبلاء

— لقد سلوتها بكلامك يا مارسيال . فلا زلت مصدرًا للسلوان في كل حال

وكانت العربة قد بلغت باريس فقال مارسيال مخاطبًا رفيقه فتاك . آملي ان القاك في الساعة الرابعة لان من عزمنا السفر عند الخامسة

— على الله اعتمادنا فافارقك الآن للذهاب الى وداع رودلف

فترجل فتاك وصار ومارسيال يذكرهُ بساعة السفر حذر النسيان .

الفصل السابع والثلاثون

موت فتاك

وما كاد فتاك يجري قليلاً الاّ ورأى الزحام قد اشتد من حوله ففطن لاسبابه اذ كان ذاك اليوم خميس السكارى يوم يحتفل به اهالي باريس على اختلاف طبقاتهم فينتابون الحانات ومحال التنزه متزيين بازياء مختلفة يتعذر على امهر مصوري العصر ورسامه تصويرها بالفكر قبل القلم فتألب جميعهم قصد المسير الى الساحة التي يقتل فيها ارملة مارسيال وولدها فانسل فتاك بينهم بوسع الخطى بغية ان يبلغ الموضع قبلهم فيشهد الامر ثم يقفل راجعاً لوداع رودلف وما زال يجد في السير الى ان رأى حائطاً في طريقه فاستند اليه وكان مكاسراً حانة فلاح له داخلها رجالاً يرقصون وينشدون ثم انه تبين خلالهم رجلاً مضيق اللثام كان يخاصر امرأة على رأسها قبعة مغشاة ببنود حمراء وعليها ثلاث شارات نحاسية وكان ذلك الفتى نقولا مارسيال الذي كان قد فرّ حديثاً من سجن لافورس ثم رأى رجلاً آخر يخاصر امرأة طويلة القامة وعقيب ان تأملها جيداً عرفه انه هورفيقة المكلتون وفي زاوية قاعة تلك الحانة كانت الغولة صاحبة نزل الارنب الابيض تحدق الى الراقصين لا سيما الى ولدٍ صغيرٍ يسبي الحاضرين بحركاته وكان تورتيلار او هوبي بن براروج حينئذٍ في خدمة مكو. ولم يكن الاّ القليل حتى صاح المكلتون باعلى صوته افتحوا الباب وهبوا بنا الى الطريق فان ساعة الاعدام قد آذنت وقد طرق اذني صوت صفير الجلاد

هلموا بنا نرقص في ساحة سان جاكس

ولما بلغت تلك الزمرة الجادة واذا بفارس ينهب الارض نهبًا وقد تردى برداء جندية جرمانيا وعلى سرجه شارة جيرلوستين

فلما دنا منهم تقدم السكلتون ورفاقه اليو فاحدقوا بهِ ليصيبوه ويسلبوهُ ما كان معهُ

فحاول الفارس الفرار فلم يستطع اذ ضايقهُ الحشد وكان تورتيلار قد قبض على عنان الجواد فصاح الفارس — اليكم عني والاَّ دهمكم مولاي في اثري

فما كاد يتم كلامهُ الاَّ وقد اقبلت عربة مولاه فقلقوا وحولوا عزمهم الى الايقاع براكب العربة فلما لاح للفارس وجه الخلاص جدَّ في السير الى دار الحكومة ليرفع الامر اليها فياتي بشرذمة من الجند لانقاذ مولاه

وكان في تلك العربة رودلف وابنتهُ ماري مترديه برداء الحداد على والدتها سارة وكان حاجب الامير الى جانب السائق ولما انتهوا من سيرهم الى الجمهور المزدحم في تلك البقاع وقفت العربة فترجل الحاجب ووقف الى جانب مولاه

فالتفت رودلف الى ولدهِ وقال لها — اراكِ يا ماري مزعوجة من هذا السفر باكرًا

— لا باس فان مرأى الرياض الزاهرة يسرّي عني الهم ويجلي اكداري

— لا ريب ان لهذه المناظر الطبيعية اثرًا في النفس وخصوصًا اذا تقدمنا الى تلك السهول التي تنتشر امامك انتشار السجل فتبدو لكِ كانها بساط من زبرجد وهناك يوافينا مورفي بعربتك آه حتى اذا بلغت جيرلوستين لقيت تمام السعادة وكمال الهناء

— اشكرك يا ابي على مزيد عنايتك في اسعادي وراحتي

— لا غرض لي من دنياي الا ما هو نيل هذا الارب

وفي ذاك الحين ازداد الزحام وعلت الغوغاء واشتدت الضوضاء ففتح

رودلف نافذة العربة فقال للحاجب

— ما سبب هذه الجلبة يا فريتز

— أن موكبًا حافلاً يتقدمنا فيمنعنا من السير

— قل للسائق ان يعدل عن هذا الطريق الى اخر يوصلنا الى الكارنتون

— لقد فاتنا يا مولاي زمان العدول عن السير وقد تصدّى لنا جهور السكارى المنتشر في هذه الساحة

فصاحت ماري مدهوشة — ابي ما هذه الغوغاء

— لا باس يا ولدي كوني مطمئنة

فتقدم حينئذٍ السكلتون من نافذة العربة فابتدره رودلف بهذا الخطاب

— ما شأنك يا رجل ولِمَ تصدّ العربة عن السير

فاجابهُ — انني استوقفتها بغية أن اخذ منك بثار الولد

فوجفت ماري وقالت — ابي ابي

— قلتِ لك كوني براحة فليس ما يبعث على القلق فان هذا اليوم هو خميس السكارى وقد جاءنا هذا الرجل على غير هدى

فصاح نقولا مارسيال — كلا فاننا على يقين ما نفعل ونقول ولا بد ان نخرجك من العربة قسرًا

فاخرج رودلف كيس الدراهم من جيبهِ والقاه في كف السكلتون قائلاً

— دونكم ما يكفيكم لذة يومكم من المسكرات

فابى السكلتون اخذ الدراهم فالقاها عنهُ جانبًا الى تورتيلار وفتح نافذة العربة وقال

— لا بدّ ان نصيب اليوم غنيمة باردة وما أتيت بهِ دليل بيّن على ما لديك من المال الوافر

فلما سمع رودلف هذا الخطاب وكانت قد فرغت جعبة صبرهِ ترجل ووثب على السكلتون فاخذه بخناقهِ والقاه على الارض وبينا هما في نزاعٍ وخصام انتهز

السكلتون فرصة اخراج مدية من جيبهِ فاشهرها على رودلف

اما ماري فلما رأت الاشقياء قد احدقوا بوالدها واشهروا عليهِ السلاح ارتمت عليهِ واخذت تدافع عنهُ بيدها

اما فتاك فلما رأى عن بعدٍ تالب الجمع على رجلٍ واحد هرع اليهِ وعقيب ان بصر فيهِ عرفهُ للحال فقدحت عيناه الشرر فمسك بيد السكلتون والقاه بعيدًا

فلما تاملهُ هذا الشقي عرفهُ وتذكر بانهُ هو الذي انقذ جرمن من يده في السجن

فعاد منقضًا عليهِ كالذئب الخاطف وهو يزأر ثكلتك امك يا جريءُ أَما كفاك ما فعلت بي بالامس حتى عدت الى مقارعتي اليوم وعاجلهُ بطعنة في صدرهِ

فلم يتأثر فتاك من هذه الطعنة وثبت قدمهُ في المجال الى ان سمع صوت الجمهور يضجون الشرط الشرط

فتفرق للحال الحشد وذهب كلٌّ في طريقهِ الى ان خلت تلك البقعة من الرجال فعمد رودلف بمساعدة الفارس والجند الى معالجة فتاك فحملوه الى الحانة حيث اخذت الغولة بضمد جرحه ثم التفت حينئذٍ رودلف الى حاجبهِ وقال لهُ

— سر عجلاً الى شارع بلومت فاستدعي الطبيب داود وانتِ ياماري ابقي في العربة ريثما ننتهي من مداواة هذا الانسان

— كلاَّ يا والدي اني اليك حيث تذهب

— لاتقوين يا ولدي على المشقة والمشهد مفجع

— لا يسعني ان ابقى وحدي

فاخذها رودلف معهُ وسار الى الموضع الذي طرح فيهِ فتاك فلما رأى الجريح رودلف صاح قائلاً

— لك الشكر يا ربي على ما اوليتني من فضلك

فاعترضهُ الامير قائلاً — اني اشكرك يا اخي اذ كنت منقذي مرّة اخرى

— اعلم يا مولاي اني كنت على قدم المسير الى كارنتون حيث كنت اعلل نفسي برآك قبل فراقك فقدر الله ان اقف حيث الفيتني منجدًا وسندًا فلا تكتئب يا مولاي لما نابني فان ذلك كان بقضاء وقدر . وقد اخبرت مارسيال صباحًا قبل ان افصل عنهُ بما سينالني في هذا اليوم المشئوم

— دع عنك هذه الافكار يا اخي واتكل على الله فهو يعينك

— كان يامولاي قد ترآءى لي امس ليلاً شبح القائد يطالبني بحقهِ

— لله درك فقد قيدتني بجميلك يا فتاك فكنت علة نجاتي بل سبب حياتي

— لالا لم افعل الاّ ما كتب عليّ فابسط يدك يا مولاي فاقبلها

فبسط رودلف كفهُ فقبلها فتاك واذ حانت منهُ التفاتة نحو ماري صاح قائلاً — غنية . غنية .

فاجابهُ رودلف — هي ولدي وقد اتفقت معي على شكرك لانك انقذتني من شر الاشقياء

— أهي ولدك ... وداعًا يا مولاي وداعًا يا اصدقائي وخلاني

فلما سمع رودلف انين فتاك ووداعهُ اذرف العبرات واستغرط بالبكاء الى ان سمع صوت عربة الطبيب داود فأفاق وقال مخاطبًا الطبيب — عليك بانقاذ حياة صديقي فتاك كما انقذت حياتك

فاحنى الطبيب راسهُ خضوعًا وتقدم الى الجريح ففحصهُ جيدًا فالفاهُ دون حراك فقطب وجههُ وارتد مذعورًا

وفي تلك الاثناء رفع فتاك الحاظهُ الى رودلف فودعه قبل ان يغمض جفنيهِ فشق الامر على رودلف فبكى عليهِ بكاء الخنساء على صخر الى ان انزلهُ القبر

ثم استانف الامير المسير الى بلادهِ وهو يذرف عبرات الاسف ويردد عبارات اللهف

الخاتمة

جيرلوستين

الفصل الاول

شكوى الحب

حبيبي مكسيمليان كامتز

« كنت قد وطدت نفسي على امل لقائك في اولندنزال بعد ان اقمت في
«جيرلوستين عند الغراندوق وعللتها بانس الاجتماع بك والسرور برآك فخانني
« الزمان اياماً اذ بخل عليّ بهذه الامنية فأُخبرت انك قد زايلت البلاد الى المجر
«ولا يخفاك ما نالني من الكدر عند سماع هذا الخبر ومن الخيبة في تغيبك فكنت أودّ
«ان اتصدى للزمان فالحق بك الى حيث نزلت فتغلب عليّ او اعترض دون
« قصدي ورغبتي مانع من اعتلال صحة والدي فرأيت من الواجب ان اصبر
« على أذى الدهر فالبث الى حين يتسنى لي الاستظهار عليه فابعث اليك
« برسائلي تحمل اليك سرائري حتى اذا علمت بما عندي منك وبأسباب
« انقطاعي عنك وما لقيت من اجلك كنت عاذري فاسمح لي ان ابسط لديك

« ماعرض لي في غضون تغيبك عني وما كان اشد احتياجي الى وفائك وافتقاري
« الى اخلاصك وصفائك لو كنت تعلم بما نالني من اليأس عند ما وقفت على
« شاطىء بحيرة اونفيلد وما عرا قلبي من الاسف اذ تذكرت اياماً بها سلفت
ولكن وآسفاه لقد جرى في تلك الناحية حادثة مفجعة افضت الى قتل الفيكونت
« سان رامي بحد السيف في البراز مع سيسلي داود
« فلا تهزأ يا حبيبي بي وبكتابي وانظر اليه بعين الحب لا بعين المنتقد
« واسمع قصتي
« كنت قد استاذنت الحكومة ان تسمح لي بعطلة ستة اشهر اقيم اثناءها الى
« جانب والدي العليل فاجابت التماسي فسافرت الى اولدنزال وفي حال
« وصولي رأيت والدي قد نقه . فاجاز لي ان اشخص الى جيرلوستين حيث
« احظى برأى عمتي الاميرة جوليانا
« غير خاف ايها الصديق ان نسبنا يحاكي نسب سمو الغراندوق وكان
« قد سلم عند امعانه في السياحة الى والدي زمام الاحكام وما اظنك اغفلت
« ما طرق مسمعنا اثناء وقوفنا على ضفات (الرين) ان الغراندوق في غضون
« المدة التي قضاها في فرنسا قد وجد الابنة التي كانت ثمرة زواجه الاول من
« الكونتس ساره ماكركوار بعد ان كان قد أرجف بفقدها ولما لقيها سعى في
« تثبيت عقد الزواج مع ساره وصك ولادة ماري . فضلاً عما تعلمهُ من هذا
« الامر كان قد اخبرنا اللورد (ددلي) في ڤينا عن ابنة الغراندوق الاميرة
« (أملي (١)
« فعند وصولي الى جيرلوستين اردت توًا قصر عمتي الاميرة جوليانا
« وكانت رئيسة دير القديسة هارمينيا وكان على مسافة من جيرلوستين فلا حاجة

---

(١) ان الغراندوق كان قد لقب ابنته باسم امه لينفي عنها الاكدار التي تلم بفؤادها عند ذكر ماري الاسم الذي دعيت به ايام الشقاء وملاقاة صنوف العناء والبلاء

« الى ان اصف لك ما شمل عمتي من الفرح والسرور بلقياي فانها اكرمت
« مثواي وترحبت بي ترحيبًا لا يحيط بهِ وصف فما كاد يستقر بي المقام حتى
« اخبرتني في عرض حديثها معي عن حفلة تعقد مساء في قصر جيرلوستين وقد دعي
« اليها اشراف البلاد واعيانها من امراء وكبراء ووجهاء من رجال ونساء
« احتفالاً بقدوم المركيزة دي هرفيل(١) ووالدها الكونت دوربيني وترأس
« الحفلة (درة جيرلوستين) فسالتها عن هذا الاسم وحقيقته فقالت — يراد بهِ الاميرة
« أملي ثم اخذت تغالي في وصفها وتطنب في محاسنها واحسانها حتى اعظمت قدرها
« وتقت الى رؤياها . فسالتها
« — هل هي ابنة عمي
« — نعم انتما من نسب واحد
« — هل يتسنى لي مرآها والاجتماع بها
« — انها غدًا تأتي لزيارة (المأوى) الذي شادته تحت رئاستها خصوصًا
« للايتام والمعوزين من ابناء البلاد وهي تقضي زمانًا طويلاً في محادثتهم وملاطفتهم
« فقدر اذن لطفها وحبها للخير وذويهِ
« فنزع بي الشوق ايها الصديق منزعًا بعيدًا الى الالتقاء بها فقلت لعمتي
« — اخشى ان ينم بي سروري لدن الوقوف بها فتواخذني مواخذة تاباها
« طباعي
« — كلاً لا تخف فانها قد عرفتك من قبل
« — من اين اتصلت بها معرفتي وقد كنت بعيدًا منها فبالله اصدقيني المقال
« — اولاً تذكر الزمن الذي نزحت فيهِ انت ووالدك من البلاد قصد
« السياحة في انحاء روسية منذ ست عشرة سنة فانها استدعت اثناء تغيبك احد

---

(١) تقدم الكلام ان قد كان من عزم رودلف التزوج من كليمانس وعملاً بهذا العزم احب ان يقرن القول بالفعل

«المصورين الشهيرين الماجور (فرنزموكر) فصوّرك بزي راج في الاعصر
«الاول

« — انني تذكرت ذالك وكان زي القرن السادس عشر لكن انّى تيسر
« للاميرة ان ترى هذا الرسم

« — انها كانت قد اتت يوماً مع والدها الى زيارتي وبينا كانت تقلب
« النظر في الصور والرسوم المعلقة على جدران الحجرة رأت رسمك فسالتني عن
« صاحبهِ فاجبتها انهُ رسم احد افراد العائلة وهو شاب امتاز بالشجاعة والاقدام
« (فارجوك ان تغض الطرف عن ذكر هذا الوصف فلم ارضهُ لنفسي بل نقلتهُ اليك
« كما نقلتهُ عن عمتي)

« فانتهى بيننا الحديث في ذاك الحين الى هذا الجواب ولما اقتضى عليّ
« زيارتهم في القصر دخلت الردهة فجلست فيها احدثهم واول خطاب فاهت بهِ
« الاميرة كان فيما يتعلق بهذا الرسم فاجبتها

« — انهُ رسم ابن شقيقي الامير بول هركوسن وهو الآن مقدم الحرس
«الامبراطوري في باب دولة النمسا في ڤينا وهو شاب لم يبلغ بعد الحادية والعشرين
« من سنيهِ

« فلما سمعت الاميرة هذا التحقيق احمرّ وجهها وخفق قلبها

« وقد جرت هذه الحادثة مساء وصولي الى جيرلوستين ولما اغربت
«الشمس انفصلت عن عمتي الى الغرفة التي ارصدت لاقامتي

« فقمت ردحاً من الزمان وانا في حيرة من الامر تارة اراجع في نفسي كلام
« عمتي وحيناً كلام الاميرة فيما يتعلق في الرسم الى ان آذنت الساعة التاسعة
« فتختمت بالخاتم الذي ذكرت قصتهُ لك قبلاً (١) وترديت برداء الجندية
« وتقلدت السيف والوسام السامي وقمت امشي في ارض الغرفة وقد خجل وقتئذٍ

(١) ان الكونتس ساكلا احدى نساء البلاط الامبراطوري كانت ارملة قد اتاها هوى هنري فتمكن في قلبها وعربونًا لهذا العهد قدمت لهُ ذاك الخاتم

« ان أملي ستوافيني بداهة فما لبثت برهة على هذه الحال الآ وقد خطر لي ما نفى
«عني ذاك الخيال فتلت في نفسي من ابن لي ان اطمع بالتقرب من الغراندوق
« وقد جعلت الايام بونًا عظيماً بين نسبي ونسبه فركبت العربة قاصدًا
« قصر الغراندوق قيامًا بما تفرضهُ عليَّ منزلتهُ من الواجبات . واذ بلغتهُ
«اختلج صدري وتخاذلت ركبتاي وضعف عزمي لاني كنت اخاف ان اصادف
«لدى الاميرة فتورًا فخطر لي ان ارجع الى حيث أتيت واذا فتحت نافذة العربة
« لاشير الى السائق بالرجوع لقيت البارون مكو ومدامتهُ على الطريق فحياني
« بالسلام واشار اليَّ مستوقفًا العربة حتى اذا دنا مني قال لي – ما بالك تتردد
« في المسير هل داهم الجياد باعث هيا في رفقتنا الى القصر
« كنت ايها الصديق قد عولت على تقديم العذر في انكار طلبه فلا ادري
« ما الذي حملني وقتئذٍ على اجابة سؤالهِ شاكرًا
« فسرنا معًا الى القصر وقلبي اسير اشراك الهوى والغرام فلما انتهينا اليهِ
« دخلنا فناءهُ وقد كان بهجة للناظرين وسطهُ بناء مشيد يناطح السماء بروقيه
« فامعنت اذ ذاك في معاتبة دهري الذي صدَّني عن معرفة أملي ايام كانت
« مقيمة في باريس فدخلت دهليز القصر واذا بالجند قد قامت فيهِ عن الجانبين
« بالحلل الرسمية فتقدمت بينهما بعد التحية الجندية المالوفة متخطيًا الى
« الدار التي وقف ببابها الحرس الملكي فالقوا التحية عليَّ برفع السيوف فحييتهم
« باكرم منها وما زلت اخطو الى ان افضى بي المسير الى الردهة الاولى فلقيني
« فيها حاجب الغراندوق بكل ترحاب ومشى قدامي الى الردهة التي غصت
« بالجمهور فدخلتها اخترق الصفوف وقد كنت اسمع في طريقي ما كان يدور
« بينهم من الحديث في وصف جمال أملي ولطف شمائل المركيزة دي هرفيلد
« وسمو مقام الارشيدوقة صوفيا التي قدمت من مونيخ مع سمو الارشيدوق
« استانسلاس وهما على قدم المضير الى وارسو ولما دنوت من الردهة التي كان جالسًا
« فيها الغراندوق وابنتهُ أملي خفق قلبي ونبضت فرائصي ورأيت الشهير ولنرث

« يوقع على البيانو نشيد جاندارك فلبثت انتظر نهاية الغناء
« فاسمح لي اذن ايها الصديق ان اشغل فكرك بما اشغلت فكري اثناء
« الانتظار ببدائع تلك القاعة وطرفها فتمثل يا اخي قاعة عظيمة الارجاء
« وغال ما شئت بثمن فرشها واثاثها ثم تصوّر امامك الغراندوق ممنويًا في
« صدرها على مباءةٍ مغشاة بالذهب الخالص وعن يمينهِ الارشيدوقة وعن يساره
« المركيزة دي هرفيل والى جانبها الاميرة أملي (تلك التي قبضت بحسنها على زمام
« قلبي وعقلي) فلا تلمني اذا كنت كلما ذكرت اسمها او كتبته اكدت احترامي
« لمقامها الكريم واحتفال قلبي بحبها المقيم
« ولا حاجة في ان اطنب في وصف محاسن فاتني فان جمالها كان يضرب
« على جمال سائر الحاضرين وقد ازداد حسنًا وبهاء بلباسها الانيق وحلاها
« التي كانت تتالق على صدرها وقد رأيتها وقتئذٍ تفتر عن ثغر لولوءي فلم
« اعلم بما كان يبعثها على ذاك الابتسام فتاولتهُ قائلاً — لعلهُ كان نتيجة طرب
« او هزة عشق وغرام
« ولما تاملتها جيدًا تذكرت كلام عمتي ووصفها فصوبتهُ وزدت من عندي
« ما قصر لسانها عن وصفهِ فاني على رغم شجاعتي وبأسي واستظهاري على جنود
« الهوى لم اطق صبرًا على تلك الحال فكدت اهي في المجال لا سيما عندما
« رشقتني املي من خلال تلك الصفوف بلحظ كدت اشرب منهُ الحتوف
« واذ كان قد رأى الشعب مزيد عناية الحاجب بي واحتفاءه بقدومي انزاحوا
« قليلاً وهم من حولي كالحاجب المقرون وتركوني هدفًا لسهام تلك العيون
« فعرفتني الاميرة بعد ان احدقت اليّ فدنت من الارشيدوقة فهمست
« في اذنها ثم ان الغراندوق بينما كان يجيل النظر في الحضور ابصرني فحياني
« من بعد ثم تقدم الى ولدهِ فحدثها حديثًا احمر وجهها منهُ
« فطال اذ ذاكَ اصطباري وخفق قلبي الى ان انتهت الموسيقى فقام
« الغراندوق اليّ وسلم عليّ سلامًا كريمًا ثم اخذ بيدي وقدمني الى الارشيدوقة

« قائلاً لها — اني اقدم لكِ ابن عمي الامير هنري مقدم الحرس الامبراطوري
« فاحنت الارشيدوقة راسها وقالت — اني عرفتهُ في فينا حيث رأيتهُ مرارًا وقد
« سرّني الآن لقياه ثم تقدم الغراندوق الى ولدهِ أملي وقال لها — تعرّفي يا ولدي
« بابن عمك الامير هنري ابن الامير بول الذي غمني جدًا بعاده عن
« جيرلوستين
« فاجابتهُ أملي — يسرّني ان أرى ابن عمي وصديق والدي
« فيا ايها الحبيب ما كدت اسمع تلك الالفاظ العذبة الّا وقد ترنح عطفي من
« الذهول فما الحمام في الاسحار على الاغصان باسجع منها عند الكلام
« وعقيب ان قضينا واجب الاكرام لمن وجب قال لي الغراندوق
« لما كان من عزمك الاقامة طويلاً في هذه البلاد فاطلب اليك ان
« تكثر التردد الينا فتقصد التنزه معنا في الرياض والغابات لانهُ كما لا يخفاك
« قد وقع حبك في قلبي منذ القديم فيطالبني بقربك كل حين
« فاجبتهُ بصوتٍ ضعيف — لقد زدتم في ملاطفتي الى حدٍ يعجز عن شكره
« لساني فالاليق بي ان التزم السكوت وهو حجتي في معرضي
« ثم طلب اليّ ان اخاصر ابنة عمي فاعربت لهُ عن حبي لهم وانسي بقربهم
« فقمت للحال ملبيًا الدعوة فتقدمت الى الاميرة أملي وطلبت اليها بكل احترام
« ان ترضاني مخاصرًا لها فاجابت سؤلي وابلغتني الأرب

. . . .

. . . .

« من لي بوصف السرور الذي ملأ فؤادي عندما عللتهُ بقرب نيل
« امنيتهِ فانني لشدة ما فرحت ايها الصديق قد خشيت ان تنم بي ظواهري
« وتبلي سرائري التي كنت احاول جهدي اخفاءها فجلست اثناء مخاصرتها
« الارشيدوق ورقصها معهُ اسكن روعي والهو بما يشغلني عنها الى ان حان وقت
« رقصنا معًا فتقدمت اذ ذاك اليها وقلت لها

« — انسمحين لي ايتها الاميرة ان ادعوكِ بابنة عمي حسبما اشار اليّ والدك
« فاجابت — اني الى كل ما يأمر بهِ والدي
« — بمثل هذه العائلة يحق الفخر وقد اخبرتني عمتي الاميرة جوليانا
« — ان والدي حدثني عن شجاعتك واقدامك من قبل وقد عرفتك
« لاول نظرة فضلاً عن ذلك كنت قد رأيت رسمك عند رئيسة ديرماريينا
« — آسفاه اخاف ان لا اكون طبق الرسم
« — كلاَّ فانهُ يحاكيك في كل معانيك
« وبينا هما يتحدثان مرَّ بهما الغراندوق مخاصرًا الارشيدوقة وقد عقدت
« عليهما الاحداق عند النطاق
« فقالت اله املي — ما ابهج النظر اليهما وقد وفقت بينهما النسبة من كل
« قبيل
« — لا ريب في كلامك وهل الك معرفة بالمركيزة دي هرفهل في فرنسا
« فما كدت الفظ هذا الاسم الاّ وتبدل وجهها بالكدر فانذهلتُ من
« ذلك ولبثتُ في حيرةٍ الى ان انتهت الحفلة فرافقتها الى قرب المركيزة ووقفت
« الى جانبها اختلس النظر وقصارى القول اني قضيت الليلة الاولى في
« جيراوستين بكل سرور وابتهاج ولما كان اليوم الثاني المعين لحفلة العرس
« جئت القصر في عداد المدعوين فما البدر كاملاً باجمل مما شهدت في محيا
« أملي تلك الليلة
« وعند الساعة الثالثة قمت فاخذت بيدها وانصرفت معها الى الحديقة حيث
« كنا نتمشى فيها بين عرف الورد وشذا الرياحين نتفكه بالكلام عن العروسين
« وبعد حفلة الاكليل قصدت مقصورة الغراندوق فاجلسني الى جانبهِ واخذ
« يحدثني حديثًا شمل الاحوال الماضية والحاضرة وارشدني سرًّا الى ما فيهِ
« خيري فظننت ايها الصديق ان قد ادرك الامير سر قلبي فأراد ان يمهد لي
« سبيل الوصول الى ما ارغبه وانوي

« فشكرتهُ على ما ابدى ووعدتهُ بالقيام على ما ارشدني اليهِ واوقفني عنده
« كنت قبلاً ازور القصر لماماً لكنني بعد ان آنست من الغراندوق
« واسرته ارتياحاً الى الاجتماع بي اكثرت التردداد اليهِ وكنت اذهب معهم الى
« التنزه حيناً في الحدائق والرياض وحيناً اخر كنت اجالس املي فاطرب بحديثها
« وسمرها آه ما كان اقصر تلك الليالي فانها كانت تجرفها اللذة كما جرف
« السيل الحصاة اذ كنت اقوم لديها فتكاشفني باسرارها وتبثني شوقها وسرورها
« وكثيراً ما اتخذتني رفيقها في زيارتها الماوى الذي كانت تؤمّه وطلبت اليَّ حين
« كنت اكتب الى والدي ان ابلغهُ سلامها وقد بعثت اليهِ يوماً بتحفة سنية رغبة
« ان يحفظها عنها ذكرى وخلاصة القول انها ارتني بحسنها وسلبت لبي بلطفها
« وانسها

« وهذه هي المرَّة الاولى التي بحت بها بحبي اليك وقد مسني الياس وادركني
« القنوط لاسيما عند ما بدا لي ضرورة سفري الى ڤينا فخفت ان يزوج الامير
« كريمتهُ من غيري فاكون قد جنيت على نفسي بما احملها من اثقال الوجد
« وتباريح الغرام . ولما كانت دلائل الحب لاتخفى على احد نمَّ بسري وجهي لدى
« ابنة عمي فسألتني عند سفري

« — ما بالك كئيباً حزيناً ماذا دهاك وانت من ابي في منزلة ولده
« ان سبب حزني هو قرب ساعة بعادي من ديارٍ رأيت فيها ربيع انسي
« فبكت لكلامي وقالت — سر ولا تخش جفاء او صدوداً فاني لن
« اهجر ذكرك ما عشت وانت لديَّ بمثابة شقيق

« فعند هذا البيان حاولت التماس البرهان على حبي فقلت لها — لاارتياب
« في ما تقولين ولكن الزمان لا يلبث ان يضرب على ذكري اذا اقضي بتوفيقك
« مع احد الامراء ولهذا ترينني كئيباً

. . . .

« ولما انتهيت الى هذا الكلام كانت ابنة عمي تفكر مطرقة كانها لم تسمع

« ما فهت بهِ بكل ايضاح ثم فصلت عني مع صبيتها وغادرتني في الغرفة أليف
« الغموم والاكدار
« وفي ذاك المساء وافاني كتاب والدي ينهئني بلزوم السفر فلما كان الغد
« قمت الى قصر الغراندوق لاجري سنة الوداع فعندما مثلت بين يديهِ
« ابتدرني بهذا الخطاب
« – اياك ان تغفل ما اودعتك من محض النصح وما ارشدتك اليهِ من
« السبل القاصدة فقم على عهدك وتيقن حبي لك ولا تتأخر ابدًا عن زيارتنا
« متى جادت لك الايام بذلك وقد كان من الواجب ان توافيك ابنة عمك
« لتودعك قبل سفرك غير ان العلة التي مستها امس تحجبها اضطرارًا عنك
« ومع ذلك فانك لا بد قد اخذت عنها من مواثيق الحب ما يؤكد لك
« حرصها على ودادك وولائك كل حين
« فشكرتهُ على حسن القصد وحملتهُ من اشواقي وسلامي اليها ما لا ينتهي الى
« حدٍ ولا يحصره عدّ وسرت والأسف ملء قلبي على طيب ذاك العهد
« فلما بلغت اولدنزال ألفيت والدي على بساط الراحة والعافية فسري
« عني شيئًا لكن وجهي ما زال يبوح ببعض ما في سرائري فسالني والدي مرارًا
« ان اكشف لهُ صدري وابث شكوى ما اعانيهِ واقاسيهِ فكنت انكر عليهِ الجواب
« الواضح الى ان تسنى لي ذات يوم اثناء رقاده وانفرادي ان اكتب لك هذه
« الرسالة الطويلة المملة وبينما كنت اخطها انتبه والدي من نومهِ فرآني اكتب
« فاخذ الرسالة وسالني قائلاً
« – لمن الكتاب
« فاجبتهُ – الى صديقي مكسيمليان
« فقرأها ولما أتى على اخرها قال لي – قد عرفت السبب الذي اوجب
« كدرك فلا تبتئس ولا تحزن فها انا اكتب الى الغراندوق كتابًا اشرح لهُ فيهِ
« حالك وما انت عليهِ ثم ارسلك الى جيرلوستين حيث تطفيء برآى ابنة عمك

« نيران وجدك وتسر بالاقتران بها

«ما آني يا اخي تعرّض والدي للامر واوجست نفسي خيفةً من حبوط
« المسعى الآنة لما كان لا يسعني الاَّ الاذعان وجمت متكلاً على الله وعما قريب
« ساعلمك بما يكون فالرجاء ان تنظر كتابي بعين الحب فتغض منهُ ما يزعجك
« واناشدك بحق الاخاء والولاء ان تمد لي يداً طالما استوثقت بها في اعمالي
« فحرر لي ما بهِ استفهد ثبات حبك وخلوص قلبك

« الصديق »

« هنري دي هركومن »

اولدنزال في ٢٥ آب عام ١٨٤١

. . . .

. . . .

فليعد معنا القارئ الى قصر جيراوستين حيث نزلت ماري بعد رجوعها من فرنسا

الفصل الثاني

خدر الاميرة املي

ان الموضع الذي نزلت فيهِ ماري كان نزهة للخواطر و بهجة للنواظر يشرف منهُ على سهل جيراوستين الخصيب فيرى المياه تنساب فيهِ انسياب الافعوان

فتسفيو ثم يبدو لك بالقرب منه دير القديسة هارمينيا وقد احدقت بو الغابات والحدائق احداق الظمآن بالماء الرائق

فاذ كانت ماري جالسة صباح يوم من ايام الصيف عند نافذة خدرها وهي تسرّح النظر بمحاسن تلك المناظر البهجة ترآى لها ما قطب وجهها للحال فاطرقت وتنهدت . فما كان برهة الاَّ ووفد عليها كهلة فانها قد تردت بلباس ابيض فارتاعت ماري (أملي) عند مرآها فجاءة وخشيت شيئاً من مرائرها فقالت لها

— ما شأنك ايتها الكونتس

— جئت اعلن لسموك رغبة والدك بمقابلتك هذا الصباح

— اني انتظر قدومه بفروغ صبر وما شان فورتين هارنيم

— انها لله الحمد قد نقهت وعهدت اليَّ ان اقوم مقامها في خدمة سموك الى ان تشفى تماماً واملي ان تحصل على امنيتها في الغد . لكن بقي لي ان اسأل عفوك وكرمك امنية جئت ارجو فيها من فضلك

— ما هي عجلي بالايضاح

— ان ابنة يتيمة اتخذتني لديك شفيعاً

— فما وجه المساعدة وما هي قصتها

— ان هذه الابنة اعزك الله لما مناها الدهر بفقد الاهل والكفيل زايلت جيراوستين طمعاً بالعيش ولكن لم تفز نفسها بما طمعت فارتدت على عقبها الى هذا البلد فلجأت الى احدى الفاضلات فاقامت عندها الى انها كتبت اليَّ امس تستشفعني لديك

— اني انظر اليها فاتيها كل ما تحتاج اليهِ

— مولاتي ان كفيلتها افهمتني انهُ اذا ترددنا في اغاثة هذه الابنة التي لم تبلغ من العمر السادسة عشرة يخشى عليها ان تطوّح في الغواية . . .

— غداً انزلها في المأوى دون تاخير

— على الله ان يجازيكِ و يكافئك عنا بما انت اهل لهُ .

وما انمت كلامها حتى سمعت صوت اقدام رودلف عند الباب فاسرعت عندئذٍ الى الباب وخلفت ماري في هم من الاخبار التي نقلت اليها

فدخل رودلف و بيده باقة زهور فقامت ماري الى استقباله فعانقها رودلف بعد التحية قائلاً لها — دونك هذه الباقة التي صرفت وقتًا طويلاً في جمعها تنزيهًا لخاطرك

فلما نظرت اليها ماري حولت نظرها و بكت . فالقى عندئذٍ رودلف الباقة من يده على الارض وقال

— لِمَ هذا البكاء ولِمَ التحيب

فاجابتهُ ماري — ان الرحمة مست فوادي فابكتني على شقاء ابنة فقيرة اعلمتني بحالها الكونتس

— أما من سبب غير هذا!

— ليس غير ما ابنت . ثم اخذت بيدها باقة الزهر وشرعت تحدثهُ عن رموزها

اما رودلف لم يرتض بما استفاده من جواب ماري بل نظر الى وجهها المكمد وقال — نشدتك الله الاّ اخبرتني بسر كدرك ودعي ذكر الزهر ومعانيه

— انهُ يذكرني يا ابي بعهد قضيتهُ في نزل الارنب الابيض

— أما نسيت بعد اثار تلك الايام وذكر ما جرى لكِ فيها وقد كنت استحلفك بحبي الاّ عدت تذكرينها لي

— أتيت عليها يا ابي عرضًا فسامحني

— كلاّ بل ان هذه الافكار لا تلبث تجول في خلدك وان اضربت عن كشفها لي فاسمعي ياولدي ما خطر لي ان افعلهُ في سبيل راحتك

— اني لديك سميعة

— ربما كان مرآى مورفي ومدام دي هرفيل من الاسباب التي تبعث

الذكرى في خاطرك فقد عزمت اذًا على ابعادها

— كلاَّ لا تفعل يا ابي فانها سلوتي وغاية راحتي

— لقد اخطأ ظنك في غاية راحتك فانك تسعين الى التعب والكدر من حيث تزعمين وجود الراحة

وفي تلك الاثناء دخلت غراندوقة جيرلوستين (كليانس) تحمل بيدها غلافًا فتقدمت الى ردلف وقالت

— دونك كتابًا جاء بو بريد باريس ثم عطفت على ماري وقبلتها بكل اشتياق

فاخذ رودلف الكتاب وتصفحهُ الى ان فرغ منهُ فقال مخاطبًا كليانس

— اننا كنا نتحدث بآثار الماضي التي تثير في فؤاد ماري لواعج الحزن والأسى

— هذا ما كنت اخشاه ولكن لما كنا نعرف العدو فلي امل عظيم بالاهتداء اليهِ والاستظهار عليهِ . فاخبرني الآن عن مصدر الكتاب

— هذا كتاب بعثت بهِ اليَّ ريكولت امرأة جرمن

فصاحت ماري صيحة الفرح وقالت — بالله قصَّ عليَّ يا ابي من اخبارها ما يرتاح اليهِ قلبي وينشرح صدري

فهمست كليانس في اذنهِ قائلة — اياك ان تفعل ربما كان الكتاب منبئًا بكدر

— كلاَّ انهُ سلوى لها وها انا اقرأ نص الكتاب بحروفهِ

من مزرعة بوكوفال في ١٥ اب سنة ١٨٤١

الى سمو الغراندوق رودلف

سيدي

« ان فضلك القديم وحبك المقيم يحملاني على ان اطلب اليك نعمة

« تحدثني بهنها بنيلها من جودك وكرمك

« ان الله قد منَّ علينا بابنة منذ عشرة ايام فنسالك ان تكون لها كفيلاً

« فنختار لها اسماً لائقًا بها

« ان جميعنا من حمد الله في راحةٍ وهناء نفيض بشكرك واحسانك وعن

« قريب يرفع الى سموكم جرمن عريضة يشرح فيها بينات خلوصه وما يكون

« من امرهِ في رئاسه المصرف

« ان الفرد بيبلت وامرأتهُ يشتغلان عنده ومورل لايزال يتاجر بالجواهر

« مع ابنتهِ أليس في ظلهِ وقد نجحت جوليات دوبارت في تجارتها في شارع التامبل

« واخيرًا ربحت الدعوي التي اقامتها على زوجها فابعدته من دارهـــا

« واسترجعت ولدها

« ذلك ما اتصل بي من اخبار جهاتنا واهلها والجميع يثنون على جميلكم

« و يثنفون على الدعاء لله بتأييد سموكم «ريكولت»

«(ذيل) ان نصيحتك لي (بالحرية والحكمة) قد جلبت لي السعادة

« والسرور وانا لا ازال ناهجة سبيلها

فقالت كليمانس — سقيًا لهذه الابنة لقد اتيت ما استحقته باعمالها ونهجها لكن مالي اراك يا ولدي ماري مقطبة الوجه عبوسة

— لا اشكو بأسًا

— لا بدّ ان يكون في نفسك سر يعز عليك افتضاحه

— كلاّ يا ابي

— اذن ما هو سبب كدرك وغمك

— ليس الا ما لاقيت في الماضي وما ربما ألاقي في المستقبل

فصاح رودلف — يا للشقاء و يا لعظم البلاء

— لاتخف يا ابي ولا تطوح نفسك في مجال الياس

فقالت كليمانس — عجباه ما الذي احدث فيك هذا الانقلاب السريع بالامس كنت فرحة بمقابلة ابيكِ والقيام بقربه فمالي اراكِ اليوم وقد تبدلت افكاركِ فصرت كئيبة حزينة

فلم تجبها ماري على كلامها وفكرت في نفسها برهة ثم قالت

– اسمعا ما اكشفهُ لكما من مرادي

– عجلي

– هل تعداني بالعمل بهِ

– نعم

– اعلم انني أودّ ان أصون مستقبل حياتي واضمن راحتي فيهِ وقد قيل «اذكر من براك في ايام شبابك» .

فصرخ رودلف وقال – ويحي لقد فقدتها ولم يعد لي رجآء ببقائها فساعيش بعدها في حزن دائم وتعب ملازم

– لمَ تشبع يا ابي نفسك هذه الافكار

– بالله يا ولدي ما الذي بدل سرورك بالكدر

– ان الحادث الذي حدث اثناء الطريق بدّل افكاري وحوّل عزمي

– فما هو

– ألا تذكر ما حدث في شارع هكفور عند النزل

– نعم اني لاانكر شجاعة فتاك واقدامه على خلاصي

– ألا تفطن لما بدا لك عند ما دخل فتاك النزل

– كلاّ

– آه من جور تلك الغولة صاحبة نزل الارنب الابيض

– اين بدت لك تلك الفانية

– حيث قطع فتاك محبة

– فما لك ولهذه الافكار فخلها عنك ولا تشتغلي الاّ بما فيهِ سرورك وراحة بالك

وفي ذلك الحين قرع الباب فقام رودلف اليهِ واذا بمورفي يقول لهُ

– مولاي قد اتاك رسول الامير هركوسن من اولاد نزال يحمل اليك

كتابًا منهُ

- اين هو

- انهُ على يدي

ورفع مورفي الكتاب الى سيده ودخل معهُ الى الغرفة فاقفل الباب وجلس عنده ينتظر فراغ الغراندوق من قرآءته وهذا نصهُ

مولاي

« انهُ بلغني يا مولاي ما شمل فؤَادكم من السرور والبهجة اذ وفى لكم
« الدهر بعد غدره فجمعكم بولدكم التي كنتم خشيتم عليها من ريبهِ وشرّهِ .
« ووفقكم الى لقاء والدتها ليتيسر لكم تحقيق نسبها وحسبها . فهنيئًا لكم يامولاي
« وهنيئًا لها بالعود الى مجدها الاول في الاسرة الملكية . وقد افادتني شقيقتي
« الرئيسة في دبرهرمهنيا ما احرزت تلك الهيفآء من السجايا والخصال الادبية
« والعقلية التي تؤيد سمو ذاك النسب المقرون بجمال فائق الوصف
« فلا اقول يا سيدي على اظهار ما استولى على نفسي من البهجة والحبور
« يوم احتفلت بهذه البشرى وقد كان بودي ان اقوم بذاتي لدى سموكم وافيًا
« بما تفرضهُ عليَّ واجبات النسب الّا ان العلة النازلة بي حالت دون الغرض
« فلم تمنعني عن ان استنيب الكتاب مظهرًا فيه سرائري وسروري
«فاستنادًا الى ما قدمت من ادلة النسب الواضح والوداد الراجح اسالك
« السماح في كشف الغرض الثاني من كتابي بكل بيان هو انهُ لما كان ولدي
« مقيماً في جيرلوستين اسعدهُ الجد على الاجتماع بولدكم الكريمة فشغف قلبهُ
« حبها وكلف بها دون ان يكاشفها بهِ ففصل عنها وفي قلبهِ من حبها أوصال
« لا تقطع فرأيت ان اشرح حالهُ لدى سموكم معتمدًا على الحب الوالدي الذي
« قابلتموهُ بهِ والعهد الودادي الذي اخذتموهُ عليهِ بالعود الى ربوعكم الزاهرة
« فاود ان يكون عودهُ الى تلك الديار في طريق يفضي بهِ الى الغاية التي يتحرى
« نجحها بكل نشاط واقدام

« ولا اظنك يا مولاي تنكر عليهِ رغبتهُ في الاتصال بالاسرة الملكية وقد
« طالما نظرتم اليهِ نظرة أب شفوق وقدرتم فضلهُ وفضيلتهُ فشهدتم فيهِ المزايا
« التي ترقيهِ الى حد المساواة بينهُ وبين كريمتكم أملي
« فالرجا يا مولاي بكرمكم المشهوران تجيبوا سوءلي فتقابلوا طلبي بالقبول
« وتأكدوا انني لا ابرح ما حييت امينًا على حبكم صادقًا في خدمتكم
« كوستانبول »

الفصل الثالث

كشف السرائر

عقيب ان تصفح رودلف الكتاب اطرق مفكرًا ثم قال مخاطبًا ماري

– لقد ادركت الآن يا ولدي امرًا حاولت كتمانهُ عليّ وابى الله الا ان ينقشع غيم الريب وتجلى شمس الحقيقة

– ما المراد يا ابي وما ادركت

– لقد توفرت لديّ اسباب الخوف

– من اجل من

– من اجلك

– وما الداعي اليهِ

– انك ما زلت تضمرين في نفسك امورًا تدفعها غلواء

— بالله اوضح الكلام

— انني الآن استطيع ان آتيك ببيان ما كنت اتقيه من قبل لشدة الغم الذي كان ينقسم قلبك لا سيما عندما كشفت لي عن عزمك في الانقطاع عن الدنيا وحكمت على نفسك بالمنية قبل حلولها بالانفراد في احدي الديار

— لم ازل يا ابي على ما عزمت

فقالت لها كليمانس — اترغبين يا ماري في هجرنا والانقطاع عنا

— كلاّ فاني سادخل دير القديسة هارمونيا وهو على مقربة من القصر فيتيسر لكم متى شئتم زيارتي والاجتماع بي

فقال لها والدها — لا تلحي يا ولدي في هذا الامر واخاف ان يعقبهُ الندم . . . .

— انني لا اندم وانا على هدى من امري ففي العزلة كل سلوى

— بالله اوضحي لي سرّك تمامًا وما اظن الفاعل في نفسك حب العزلة فلا بدّ ان يكون سبب اكدارك ناشئًا عن عوامل الحب التي تصيب فؤاد كل انسان فتكون قد فعلت بكِ ما فعلت بسواكِ من قبل وما تفعل من بعد

فاندهلت كليمانس من هذا الكلام واشارت الى رودلف ان يضرب عنهُ اما هو فاستطرد حديثهُ قائلاً

— ما رأيك يا ولدي في ابن عمك الامير هنري

فلما سمعت ماري هذا الكلام اذرفت الدمع وارتمت على والدها فسألها

— هل عندك منهُ شيء

فنشفت ماري دمعها وقالت — بالله لا تسلني عنهُ

فقالت كليمانس — أأصاب خاطر والدك

اما رودلف فاخذ يد ماري وقال لها — أتحبينهُ

— نعم احبهُ ولو كنتَ تدري ما حملت من اثقال الغرام في فؤادي حتى الآن وحاولت جهدي الكتمان .

– هل دري هنري بحبك

– لا اعلم .

– وهل عندهُ منك ما عندك منهُ

– أودّ لو كذب ظني

– لماذا

– لئلا يلمّ بهِ منهُ شيء

– متى كان عهد هذا الحب

– منذ رأيت رسمهُ في دير القديسة هارمينيا

– عجبًا ما الذي بدل افكارك وغير خواطرك فقد كنتِ بحت لي من قبل انك تكرهين ذكر الساعة التي رمقتِ بها ذاك الرسم

– انني قصدت بذلك اخفاء حبي لا سيما عندما عرفت ان الرئيسة هي عمة هنري

– أذن حبك له نفر منذ الساعة التي رأيتهِ رسماً

– وقد زاد حبي لهُ منذ رأيتهُ اثناء الحفلة التي عقدتها احتفاء بالارشيدوقة صوفيا ثم تمكن بزيارتهِ لي بعدها فتحملت من دواعي الحب ما تحملت كتماً للامر لا سيما يوم جاء لوداعي ولهذا احببت سكنى الدير بعدهُ

– لا تخافي يا ولدي فقد تمهدت سبل الرجاء

– أنى يكون لي ما اروم وباية وسيلة

– ان عنده منكِ يا ولدي ما تشكين منهُ

– انهُ لا يحبني يا ابي كما توهم

– انهُ كلف بك ويتهالك عليك

– أصحيح ما اسمعهُ

– اني علمت بسره منذ ساعة قابلتهُ واستنادًا الى هذا العلم كنت دعوتهُ الى ان يتردد الينا وسمحت لهُ ان يجالسك ويقيم لديكِ متى شاء لان الصفات

التي امتاز بها توصلهُ الى ذلك ثم انني اخذت ارشدهُ سبيل الوصول الى الحد الذي بهِ يكون تمام رضاكِ وراحتك

— وما كانت نتيجة ذلك

— ان والده الامير بول بعث اليَّ بكتابهِ يكشف لي عن رغبة ومحبة ولده لكِ فاحب ان اجيب طلبهُ في زواج ابنهِ منك

فحجبت ماري وجهها بكفها وقالت — ما اسعدني لو تم هذا وكان لي

— ان راحتك متعلقة على ارادتك

— كلاَّ انسيت يا ابي

— لم اغفل شيئاً واعلمي يا ولدي انهُ اذا دخلت الدير قضيت عليَّ بالعذاب الى القبر فلا تسمحي يا أملي بذلك بل عوّلي على العمل بما يكون منهُ راحتي وهنائي فاقبلي ان تكوني معينة من أحبهُ من صميم فؤادي

— أترضاه لي بعلاً

— نعم ومن عزمي ان اقيم لكما حفلة اكليل سرية في القصر يحضرها مورفي وديهِ كرابين الشهود وفي غد قرانكما تشخصان الى سويسرا او الى ايطاليا حيث تقيمان على اتم راحة واكمل سعادة وهناء

فصدقت كليمانس كلام رودلف وقالت — لا بد ان يكون هنري رفيق ماري

— ونحن يا ولدي نقصد كل عام زيارتكِ لنفقد احوالك وشفاء شوقك

فصاحت ماري — هل تصدق الاحلام فافوز بالمرام

— نعم وانا ادعو لكما بالرفاء والبنين

فقالت ماري — يا ابي اخاف ان يعلم هنري بماضي احوالي

فاعترضتها كليمانس قائلة — خلي عنكِ الاوهام واضربي على ذكر ما كان في غابر الزمان

— انني احبهُ حباً يتحدث بهِ الخلف ولكن ابى ان الصلة يدا استلمها الاشقياء

من قبلها في باريس فاودّ ان امتنع في الدير

فما اتمت هذه الكلمات الا وتناثرت الدموع من شؤون كليمانس ورودلف

. . . .

. . . .

وعقيب ذلك نشرت جريدة جيرلوستين الرسمية الخبر الآتي :—

«امس امتنعت سمو الاميرة املي في دير القديسة هارمينيا بحضور الغراندوق
« واسرة جيرلوستين وقد احتفى بها كل الاحتفاء احتفل بسيامتها رئيس
« اساقفة اوبنهيم وفي اثناء السيامة خطب سيادتهُ خطبةً بليغة اعرب فيها عن
«منافع الزهد والانقطاع لعبادة الله

الفصل الرابع

من رودلف الى كليمانس (١)

عزيزتي

« انهُ قد بلغني بشرى ابلال والدك فعزّزت امالي وحققت رجائي بقرب
« عودك مع والدك اليَّ وقد كنت افدتهُ قبلاً عن سوء المناخ وتعرضهُ للحوادث
« الجوية في المحل الذي يقيم فيهِ بيد ان كلفهُ في القنص حملهُ على العبث بنصائحي
« واشاراتي فبالله يا كليمانس لا تنكري رأيي ورجائي في قبول طلبي واملي ان

(١) كان قد مرّ على امتناع ماري في الدير ستة اشهر

« تسرعي بالقدوم اليّ يوم تتأكدين عافية ابيك ومقدرتهِ على السير آه ان قلبي
« ينفطر اسفًا على فراقك وعيشك بعيدة مني وقد آلفني الغم وحالفني الهم من
« يوم هجرت القصر الى ديار ابيك فخفت ان يلمّ بك مصاب من جرّاء مشقات
« الطريق والهموم التي داهمتك من قبل لو كنت تعلمين يا كليمانس بما قاسيت
« من آلم الندم بعد فراقك والانفصال عنك واكثرت عتبَ نفسي لسفرك
« منفردة ولم اكن رفيقك في تلك الرحلة

« كليمانس لما كنت عالمًا بغيرتك على والدك وحبك لهُ خشيت ان ينوبك
« من التفاني في خدمتهِ نصبٌ مبرح فيبتليك بالالم و يقضي عليّ من اجل
« ذلك بالعذاب والموت آه ما اشد حزني لمرض ابيك واعتلاله واشد منهُ
« حزني لبعدك وانقطاعك عني في زمانٍ احتاج فيهِ اليك لاردَّ من ينبوع
« قلبك الصافي السلوى والعزاء

« اعلمي يا كليمانس ان ماري عزمت ان تمتنع غدًا في اليوم الثلاثين من
« حزيران في دير القديسة ها رمينيا وهو اليوم الذي اشهرت فيهِ السيف
« على ابي فيا لهُ من ذكرى تذيب النفس لها حسرةً واسفًا

« يا عزيزتي قد كنت ظننت ان الله قد غفر ذنبي وعفا عني فاعقب
« عذابي بالراحة في العيش بقربك وبقرب ولدي غير ان الله تعالى ابى الاَّ ان
« تظهر الحقيقة فحمل ماري على ان تبوح باسرارها فتكدر صفو عيشي وتقضي
« على نفسها بالانقطاع عن العالم لتكفر عما جنت ايديها يا لحزني وغمي عندما
« رأيتها جاثية وكفيها على صدرها هيبةً وخشوعًا تلتمس البركة بعد ان كانت
« مستولية على عرش الملك والناس من حولها سجود آه لو كانت عباراتي ترسم
« بالعبرات لنقشتها على الورق بقلمٍ من نار

. . . .

. . . .

« وقد رأيتها اليوم ضئيلة نحيلة يستر سواد نقابها اصفرار وجهها فخفت ان

« يعتريها المرض فيحرمنيها ابدًا ومن عزم رفيقاتها الزاهدات ان يخترنها راهبة
«على خلاف نظام الرهبنة لما انها جمعت من الخلال والصفات ما يندر اتفاقها
«في قلب انسان

« ان هنري المسكين قد شفي من علتهِ ورجائي ان تسرعي اليَّ مع والدك
« بوقت قريب واذكري ان غدًا يكون يوم احزان رودلف نعم غدًا هو اليوم
« الذي التقى بهِ جزائي فلا تسمحي ان اموت معذبًا قبل ان اراكِ

من جيرلوستين في ٢٩ حزيران سنة ١٨٤٢ «رودلف»

. . . .

من دير القديسة هارمينيا

الساعة الرابعة صباحًا

عزيزتي كليانس

« كنت قد اخبرتك قبلاً عن ضعف ماري وهزالها واليوم اكتب اليك
« عمَّا اتخذت من الاسباب وقاية لها فانني ارسلت مورفي وداود الى الدير
« وطلبت الى الرئيسة ان تسمح لها بالقيام في الغرفة التي كان ينزل فيها هنري
« بمعزل عن مبايت الدير حتى يراقبا عن كثب حال ماري وينظر في
«احتياجاتها فضلاً عن ذلك انني اوصيتها ان تقيم الصلوة في غرفتها وليس
« في الكنيسة لان قيامها كثيرًا في المحال المعرضة للهواء مجلبة للعلة فاجابتني
« بكتابٍ هذا نصهُ

والدي العزيز

« انني تلوت كتابك مسرورة بما نشرت فيهِ عليَّ من البشائر بسلامتك
« وراحتك لمزيد عنايتك بي ومواصلة اهتمامك بشأني غيراني لا استطيع ان
« آتي الاَّ ما يخولنيهِ نظام الدير وقوانينهُ وعلى كل حال انني لا ابرح ابدًا مطيعة
« لك مطيعة لاوامرك وغدًا سانتظم في سلك المجاهدات في سبيل البر والتقوى
لمجده تعالى «الاخت أملي»

« غير خافٍ ما حاق بفؤادي من الغم عند تلاوة هذا الكتاب وكنت وقتئذ في
« حجرة والدي حيث صبّ عليّ غضبه وسخطه الى ان اذنت الساعة الواحدة من نصف
« الليل فسمعت صوت مور في ظاهر القصر فنبضت فرائصي ولما دخل عليّ
« قال — الساعة الثانية من مساء امس دخلت أملي الكنيسة وجثت فيها مدة
« مستطيلة وبينا هي تصلي لاح لي انها تنثني من العي وما كان برهة من الزمان
« الاّ ومقدم اليها اثنتان من اخواتها فاخذا بيدها واصعداها الى الغرفة واسرعا
« بالحال فاستدعيا الطبيب داود وهو الآن قائم في تمريضها . فلما سمعت الخبر
اسرعت الى الدير فخفت الاميرة جوليانا الى استقبالي عند الباب وقالت — ان
« صحتها تحسنت وارى ان لا تقبل عليها الآن لئلا يبادهها ألم من لقياك فقمت
« في غرفة هنالك انتظر الاخبار الى ان اتاني الطبيب داود فسكن بالي
« وازال ما بي من القلق والاضطراب ثم وعدني بمقابلتها بعد ان تكون قد
« اتمت فروضها في الكنيسة فعندئذٍ نهضت من مكاني وتخطيت الى الدهليز
« المشرف على الكنيسة فنظرت منهُ والدي أملي جاثية على ركبتيها وكانت تصلي
« بذلة وخشوع

« ولما كانت الساعة الثالثة دنا منها راهبتان فهمستا في اذنها وانصرفتا
« وهي تتبعها فلم أرَ زيارتها خوفًا عليها من القلق والحزن فقفلت راجعًا الى الحجرة
« حيث لبثت انتظر عود الطبيب داود الذي كنت كلفته أن يعود اليها
« فيستعلم حالها مرة اخرى فقمت في الدير الى الغد قصد ان اشهد سيامتها

« فاقف الآن من قصتي الى هذا الحد على أمل ان استوفي غدًا الكلام
« عما يكون من امر والدي املي وما اشهدهُ منها اثناء الحفلة بالرسوم الكنيسة
« في يوم رسخت اثاره المجعة في نفسي الحزينة «رودلف»

«وعقيب ان انتهيت من كتابي اليك امس استلقيت على فراشي وبينا انا
«نائم سمعت باذني رنة اجراس تؤذن بحدوث فاجعة فنهضت من رقادي
« مذعورًا وكان الليل قد ارخى سدوله فقرعت الجرس للحال فتمثل امامي مور في

«فسألته عن صحة ماري فاجابني انها قد تحسنت

« آه فوددت لو كنتِ امس الى جانبي واما اليوم فلا لشدة ما نابني فيهِ

« من الحزن والغم فاخاف ان تؤثر فيك فتزعجك وأسفاه انك منذ هذا

« اليوم تلبسين الحداد على فقيدة جيرلوستين واحسرتاهُ لقد حملني الدهر من

« العذاب والشقاء ما ينوء بي ثقلهُ وتركني عرضة للمصاعب والمتاعب

« فقضيت مدة اقامتي في الغرفة على حالٍ من القلق لا توصف الى ان اذنت

« الساعة التي بها يحتفل القوم بسيامة ماري فقمت في جملة الحشد انظر اليها

« بعيون شكرى بالدمع وكانت واقفة امام الهيكل والراهبات من حولها رافعات

« الحاظهنَّ الى السماء وكان على الجانبين فرقة من الجند بالالبسة الرسمية وجوههم

« يذرفون الدمع اشتراكًا معي بمصيبتي و بعد ان اكتملت رسوم السيامة انصرفت

« ماري الى حجرتها حيث استلقت على فراشها تشكو من العي والجد فتبعتها

« الى ان وقفت بها فلما رأتني مكمد الوجه كئيبًا ادركت سري فقالت

« — هوّن عليك يا ابي فان صحتي من حمد الله تعالى هي احسن من قبل

« فتقدمت اليها وعانقتها بلهفة واشتياق ثم جلست الى جانبها اتبادل معها

« الحديث فقالت

« — ابتاه ارغب في ان اخذ عليك ميثاق الوفاء

« — بماذا يا ولدي

« — هل اثاث قصري ما زال كما كان

« — نعم وقد فرضت عليَّ زيارته كل يوم صباحًا فما هو الميثاق الذي

« تاخذينه عليّ

« — ان تحافظ على حبي ثم ارجوك ان ترسل الى مدام جورج مكتبتي

« الصغيرة

« — أليس عندك غير ذلك اقضيه طوع امرك

« — نعم ان ترسل ايضًا الى الاب لابورتي كتب الصلوة والى ريكولت

« الحلي والجواهر التي عندي والى لالوف التي نتيم الآن في الجزائر الصليب
« الذهبي المناط في سريري

« — انني سانفذ اوامرك سريعاً لكن يا ولدي نسيت ان توصي بشيءٍ من
« عندك لشخص يحبك حبًا شديدًا الا وهو الفتى الذي آلف الحزن منذ يوم
« دخولك الدير

« فعندئذٍ احمر وجهها خجلاً وفكرت في نفسها برهة ثم قالت

« — ما شأنهُ يا ابي

« — الحمد لله انهُ في عافية

« — وما حال والدهِ

« — قد ابل من علتهِ

« — فالرجاء يا ابي ان تهدي هنري المجد الذي كنت أجثو عليهِ فابالهُ
« بدموعي ساعة اضرع اليهِ تعالى سائلة جوده ان يمن عليَّ بالسلوى عن حب
« هنري

« — اه انهُ لا ريب سيسر جدًا بالتحفة التي تقدمينها لهُ تذكارًا لعهد
« الحب والولاء

فما اتم رودلف عبارتهُ الا ورای ماري في حالٍ من الارق فتركها
وحدها وقصد غرفة اخرى

فامسك عن الكتابة فذيل كتابهُ الى كليانس بهذه الكلمات

« ان مورفي يتم الكتاب الذي بدأت فيهِ فينبئك عن الحوادث التي
« جرت في ٢٠ حزيران

. . . .

. . . .

فأخذ مورفي القلم وشرع يكتب ما يأتي

ايتها السيدة الجليلة

« اني عملاً باشارة مولاي تجرأتُ على ان اراسل سموك فاقصّ عليك ما
« كان من الحوادث المجعة في اليوم الثلاثين من حزيران — اني بينا كنت
« جالسًا في غرفتي انجز فيما جرى من الحوادث بياض ذاك النهار واذا بالرئيسة
« قد وفدت عليّ وكلفتني ان انعي الى سمو سيدي الغراندوق وفاة ولده ماري
« فقمت للحال ودخلت غرفة سيدي فحالما رآني وقد علا وجهي الحزن والكآبة
« نهض مسرعًا الى مقصورة ولده فالفاها مسجاة على فراشها بين انياب المنية ولما
« شعرت بهِ رفعت عينيها اليهِ وفتحت فاها وهمست في اذنهِ هذه الكلمات الاخيرة
« (وداعًا يا ابي وصفحًا يا هنري وعفوًا يا امي) فجثا للحال رودلف على
« ركبتهِ فعانق ولده والدمع يتناثر من المآقي كالسواقي ثم تقدم الطبيب داود
« فجس نبضها فوجدهُ جامدًا فارتد حزينًا آيسًا لان ماري كانت قد جادت
« بروحها ولما لم يسع رودلف البقاء عند سرير ولده نهض فخرج وخرجتُ
« انا باثره فالتفت اليّ وقال — عليك يا مورفي ان تبلغ الغراندوقة مصابي
« وتشرح لها عذابي . انعي لها وفاة ولدي . قل لها ان رودلف غدًا قد انفرد
« بحزنهِ وانقطع لهمومهِ
« فلبيت الطلب وقمت اكتب اليك مع الرجاء ان تأتي الى عزائهِ وسلوانهِ
« حين يبل الكونت فيقوى معك على السفر واعلمي ان الغراندوق لا يسلو همهُ
« الاّ بقربك ولا يتعزّى الاّ بوفائك وثبات حبك
« وهو الآن جالس قرب سرير ولده لا يرضى ان ينفصل عنها قبل ان
« توسد اللحد « الامين »

في ٣٠ حزيران سنة ١٨٤٢ « مورفي »

. . . .

. . . .

وفي اليوم المعين لحفلة الجناز جاءت كليمانس ووالدها معها ليشهدا الدفن ويشيعا ماري الى حيث واروها في التراب آسفين مستر.

